7me Année No. 307

Lundi - 22 - 5 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٣٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٢ مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهــــرس

مصر العظمى تستعد !

فى يوم وليـــلة ...

فى يوم وليلة رأينا مصر المبعوثة من مرقد الخلد تدخل فى عهدها الجديد الجدّى فتنهض بما توجبه الحياة الحرة من تكاليف الاستقلال وتبعات السيادة !

كان ذلك اليومُ يومَ الخميس الماضى ، وكانت تلك الليلة ليلة الثلاثاء قبله ! فى هذا اليوم كان عرض القاهرة لجيشها الفتىّ فى آلته الحديثة وعدته الكاملة ؛ نخرج من عرائنه الشُّم والصباح الضاحى يتنفس بأريج مايو الجميل ، وسار فى الشوارع الحاشدة يعرض على الأنظار الدَّهِشة قوى الدفاع وأسلحة الأمن وما لا بد منه لمن يعيش فى زمن استذأب وضَرِى حتى أنكر حق الحياة على نوع الحمل

لم تكن المدافع القصيرة والطويلة، ولا الدبابات الخفيفة والثقيلة، هى التى ملكت الألباب وأثارت الإعجاب وفجرت الحماسة ؛ فإن منظر آلات الدمار والموت أصبح لطول ما أَلِفه الحس لا غرابة فيه ولا عجب منه ؛ وإنما الذى ملك الألباب حتى أذهل ، وأثار الإعجاب حتى أدهش، وفجّر الحماسة حتى أطغى، هو منظر جنود مصر بشبابهم الفاره ، وخَلْقهم السوىّ ، وبملامحهم الدالة ، ومظهرهم

الأخاذ ، ونظامهم الرائع ؛ فكأنما هم جنود ابراهيم لم يلقوا السلاح منذ ارتد قائدهم عن الأستانة . فأين كان مكمن هذه الروح الحربية القوية مدى حقبة من الرخاوة والكسل لو مرت على الضوارى لطمست فى وجوهها معارف الجرأة ، وأماتت فى نفوسها معاني الافتراس؟ لقد كان لنا قبل سبتمبر الماضى جيش من الأرقام متواضع العدد والعدة ، يعيش فى أكناف الشعب عيش الأمان والغفلة ، لا يعرف الحدود إلا على الورق ، ولا يشهد الحروب إلا فى السينما ، ولا يدرك معنى الدفاع عن النفس فى وجود انجلترا إلا كما تدركه الزوجة المرفهة فى وجود زوجها ، والولد الدلل فى حضرة أبيه . فكيف انقلب هذا الجيش الصغير الغرير فى سبعة أشهر جيشاً من المردة العتاة يقيم المعاقل على البحر ، وينحت الخنادق فى الصخر ، ويروض أوعار الأرض لإقدامه ، ويذلل أخطار السماء لقوادمه ، ويضع الخطة فلا تخطئ ، ويسدد الرمية فلا تطيش ، ويقف جنباً إلى جنب مع الجيش الذى قهر نابليون وهزم غليوم وغنم الدنيا ، فلا يفوقه فى نظام ، ولا يفوته فى سبق ، ولا يبذه فى مناورة ؟ ألسر فى معدن هذه الأرض التى جعلت الزمان تاريخاً وللانسان مدنية . والسحر فى طبيعة هذا الفلاح الذى طبع آثاره على جباه القرون وسلطانه على قلوب الأمم . وفرخ النسر لا يعلَّم كيف يصيد ، وشبل الأسد لا يدرَّب كيف يفترس !

***

وفى تلك الليلة كانت تجربة الدفاع الجوى عن القاهرة . ففى عتمة الليل والناس لاهون صاحت الأبواق المنذرة بالغارة فى كل حىّ ، فأطفئت الأنوار وأسدلت الأستار وخشعت الأصوات وسكنت الحركات ، وأقفرت الشوارع إلا من رجال الشرطة والمطافئ والإسعاف ، وجثم على صدر العاصمة كابوس من الرهبة والقلق ، فامتدت العيون خلسة من وراء السجوف ومن خلال النوافذ فلم تر إلا الظلام يموج ، والنجوم تضطرب ، والرقابة تحت الحنايا الآمنة تتهامس ، والمدافع فوق العمائر العالية ترتقب . ثم أقبلت من الحدود الغربية النسور المغيرة فرنَّقت فى جو المحروسة على علو لا يُرى ولا يسمع ؛ ولكن آلات الرصد نبهت الكشافة فأرسلتْ على أطباق الجو الحالك أفواجاً من الأشعة الخاطفة ، تتطاول وتتعارض ، وتتعانق وتتشابك ، حتى لم تدع طائراً يطير إلا صوَّرته فى عدسة مدفع . وفى آخر الهزيع الأول من الليل أعلنت الأبواق بأصواتها المتصلة انقطاع الغارة، فأشرقت المدينة ، واستأنف الناس حياة اللهو والأنس وهم يشعرون أنهم أصبحوا خلقاً كسائر الخلق لهم قوة لا تُزدرى، وكرامة لا تمتهن، وحمى لا يستباح

فى هذه الليلة وفى ذلك اليوم أدركنا أن مصر الناهضة قد بلغت سن التكليف وجاوزت حد العبث ؛ فهى تستعد للحرب وللسلام ، وتبنى بالفعل لا بالكلام ، وتتقدم إلى ساحة الدفاع المقدس شيوخ دينها وشباب دنياها ، وهى راضية بهذا البذل فخورة بهذه التضحية . والفضل كله للأحداث التى تذيب الغش وتفضح الزيف وتمحص الكفاية

***

لا جرم أنا كسبنا مغانم الحرب وإن لم تكن حرب. لأننا بما عملنا أوجدنا شيئاً لا بد من إيجاده ، وبما بذلنا سددنا عوزاً لا مناص من سداده . أما الدول الأخرى فدفاعها مكين الآساس مرفوع القواعد منيف الذرى ، فكل ما تنفقه عليه يضطرها الخوف إليه لتأمن الفشل وتضمن العاقبة .

ماذا كنا قبل أن ينتشر الجراد الروى المسلح على حدودنا المهملة ؟ كنا قوماً من سادة الماشية وعبيد الأرض تركوا أزمتهم للقدر وثروتهم للغريب وحمايتهم للحليف ، ثم أقبل بعضهم على بعض يتنافسون فى الهزل من غير غرض ، ويتراشقون بالتهم من غير بينة ، ويتسابقون إلى الحكم من غير غاية . فلما أينع الحصاد وأزَّ فى الأفق الجراد وزأر بالوعيد الطغاة ، تيقظت مصر الصادقة الحرة على ضفاف النهر وأحقاف الرمل ورياض الريف ، ثم وقفت فى شكتها الكاملة موقف الواثق الحذر وهى تنظر إلى الشفق الدامى فى وجه الغرب ، وتقول للطامع الساهى لإثارة الحرب : حذار ! فإن على عرشىَّ الفاروق خليفة الله ، لا كليوبطرة صديقة قيصر !

احمد حسن الزيات

لقاح العقول أو لقاح الأنساب

للأستاذ عباس محمود العقاد

أسرته الأصيلة من الفلمنك

وانتقل جد من جدوده إلى النمسا فأقام فى الأقاليم البوهيمية

واتصل هو وأبناؤه من بعده بخدمة آل هابسبرج

وبنى جده لأبيه بيونانية من جزيرة أقريطش ، وبنى أبوه بيابانية من أذكى نساء اليابان

ذلك هو مؤلف الكتاب الذى نحن بصدده ، واسمه الكونت « ريتشارد كودينهوف كاليرجى »

أما اسم الكتاب فهو « حكومة الاستبداد حيال الإنسان »
The Totalitarian State Against Man

***

قرأت هذا الكتاب فقرأت عجباً من تآلف الأفكار الغريبة ، وتقارب الأقطار البعيدة ، واختلاط الأساليب التى انعزلت مع الماضى مئات القرون

هنا شىء من اليابان لا شك فيه ، وشىء من اليونان لا شك فيه ، وشىء من تعبد الفلمنكيين ، وشىء من جماح البوهيميين ، وشىء من أدب البلاط ، وشىء من مساواة الحرية ، ولكنك لا تستطيع أن تفرزها ولا أن تستخرج كل خيط من خيوطها مستقلاً عن سائر شباكها

وكل ما تستطيعه أنك تحس لكل جنس من هذه الأجناس أثراً فى مزج الأفكار وصياغة الألفاظ وتنسيق الحلية الكتابية . وقد تجزم الجزم الأكيد أن اليابانى وحده لن يصنف الكتاب على هذا الأسلوب ، وكذلك اليونانى والبوهيمى والفلمنكى ورجل البلاط وجوّاب الآفاق ، ولكنهم إذا اتصلوا بالأنساب والثقافات كما اتصلوا فى ذهن هذا المصنف نتج من تلاقح أذهانهم وثقافاتهم مثل هذا الكتاب

***

خذ مثلاً هذه الكلمات :

« الإنسان من صنع الله ،

والحكومة من صنع الإنسان .

الإنسان غاية وليس بوسيلة ،

والحكومة وسيلة وليست بغاية .

قيمة الحكومة هى قيمة ما تؤديه من الخدمة لمن فيها من الخلائق الإنسانية . فكلما خدمت الإنسان وعاونته على التمام والكمال فهى حسنة ، وحيثما بدر منها التعطيل لتمامه وكماله فهنالك الشر والسوء

الحكومة ليست شيئاً حياً ولا جسداً حياً ولا عضواً حياً ؛ ولكنها آلة أو أداة مجمولة لخدمة الإنسان فى صراعه للفوضى والاختلال

الإنسان مخلوق حى ، والحكومة أداته للخير أو للشر ، وللنفع أو للإضرار إذ ليست الحكومة كائناً إنسانياً ولكنها مع هذا تريد أن تكون أكثر من إنسان

ليست هى إلهاً فهى إذن تصبح صنماً

يصنعها الناس وتطلب منهم العبادة

وهذه المصنوعة الإنسانية تعدو طورها فتتخذ لنفسها مكان الوساطة بين الله والإنسان !

هذه الآلة المصطنعة تحسب نفسها مخلوقة عضوية حية ... وهذه الخادمة التابعة تتخايل أمام بنى الإنسان فى زهو السيادة !

إننا لنعيش اليوم فى أخطر عصور الانقلاب التى مرت بها الدنيا ؛ لأنه عصر انقلاب الحكومة على نوع بنى الإنسان !

إننا لنعيش فى أسوأ ما عهدنا من عصور عبادة الأصنام ؛ لأنه عصر تأليه الحكومات »

***

ومثل آخر من خواطر هذا الكتاب النفيس ما جاء منه فى مستهل الكلام على الديمقراطية والنظم النيابية حيث يقول :

« الحرية مثل أعلى وغاية منشودة

الديمقراطية مبدأ وقاعدة

النظام البرلمانى هو وسيلة أو طريق

والخلط بين هذه المعانى يؤدى إلى تشويش مزيج

فانجلترا حرة ولها نظام برلمانى ؛ ولكن دستورها يعتمد

على الديمقراطية بعض الإعتماد لا كل الاعتماد ؛ لأن المجلس الأعلى والتقاليد الوراثية ليست من الديمقراطية بلا خلاف

وروسيا وألمانيا وإيطاليا ليست بحرة وإن كان لكل منها دستور قائم على سيادة الأمة وعلى مبدأ الكثرة فى ولاية الحكومة كما تقضى أصول الديمقراطية

والولايات المتحدة وسويسرة حرتان وديمقراطيتان ولكنهما على غير الوضع النيابى مذ كانت الحكومة فيهما لا تسقط بانتزاع الثقة البرلمانية منها

واليابان لها نظام برلمانى ولكنها ليست بالديمقراطية ، لأن دستورها لم يؤسس على سلطان الأمة بل على سلطان الامبراطور . وهو — أى الامبراطور — يقبل باختياره أن يشرك معه الحكومة البرلمانية

ومن المحتمل جداً أن تتصور حكومة حرة تحترم حقوق الأفراد على أيدى قلة متسامحة ، كما تتصور حكومة متعسفة تقيد الحريات جميعاً على أيدى كثرة تدين بعقائد الاستبداد

فالروح الموحية أهم وأقوم من نصوص الدساتير . وحيثما بطل اليقين بالإنسان والاعتداد بحقوق الأفراد لم يكن عجيباً أن يفضى بنا الانتخاب العام إلى الاستبداد ؛ لأن المستبد والمشعوذ السياسى ليسا بالنقيضين ، ولكنهما قرينان متماثلان »

* * *

وكل فصل من فصول الكتاب حافل بهذه الدقائق وهذه القضايا وهذه التعريفات

هنا ولا شك أناقة اليابانى فى التنسيق وخفة اليابانى فى الحركة

وهنا ولا شك نفاذ اليونانى إلى بواطن المعانى الفلسفية والحدود المنطقية

وهنا ولا شك جنوح الفلمنكى إلى صبغ الحقائق بصبغة العبادة والأسرار

وهنا ولا شك طلاقة البوهيمى ، وكياسة الرجل البلاطى ، وثقافة الإنسان الحديث

إنك لا تشك فى خصلة من هذه الخصال كما لا تشك فى اختلاف المنهج والأداء لو كان الكاتب يابانياً أو يونانياً أو فلمنكياً أو بوهيمياً غير مختلط بما عدا سلالته وثقافته من السلالات والثقافات

ولكن أين هذا وأين ذاك ؟

أين يبتدئ هذا التفكير وأين ينتهى ذلك التفكير ؟

وما وسيلتك إلى منع عنصر من تلك العناصر أن يظهر فى منهج الكتاب وأدائه إن كانت بك حاجة إلى امتناعه ؟

وما وسيلتك إلى زيادة عنصر من تلك العناصر إن كانت بك حاجة إلى ازدياده ؟

لقد شغلنى التوجه إلى هذا المعنى أثناء القراءة حتى خيل إلىّ أننى فى معمل من معامل الطبيعة أرقب فيه براعتها فى الخلط والمزج والجمع والتفريق

أو خيل إلى أننى أمام مسرح التاريخ الكبير يتناول اللاعب القدير على خشباته نسيج الأحقاب والأعقاب منذ ألوف السنين فيداخل بينها ويواشج بين خيوطها على نمط من السرعة لا تضبطه بعينك فى مكان واحد ، ولكنك تضبطه كله حين ينتهى إلى النتيجة فإذا هو هناك حيث لا تدرى من أين اتصاله ومن أين انفصاله فى مجمل النسيج

ورب كلمة من كلمات الكتاب لها اتصال بجزائر اليابان ، وكلمة أخرى لها اتصال بشعاب البوهيميين ، وكلمة مجاورة لها قد جاءت من أقصى المغرب أو من أقصى الشمال

إن النظر إلى هذا لأمتع من النظر فى حقائق الكتاب ، وإن كانت حقائقه من المتعة بمكان

* * *

ثم يجول فى الذهن خاطر آخر هو فضل هذا اللقاح العجيب فى تحسين العقول أو فى تحسين الطباع .

هل تستفيد « الإنسانية » بامتزاج كهذا الامتزاج يعم جميع الأجناس فى المشرق والمغرب ، ويعم جميع الثقافات وجميع المذاهب والآراء ؟

أو هل هى قيمة واحدة من القيم الكثيرة تحتفظ بها وتحتفظ معها بصفاء الأصول وافتراق السلالات ، وما فى كل سلالة من مزية ورثتها واستقلت بها بعد تحضير طويل فى معمل التاريخ ؟

يحضرنى فى هذا الصدد ما يصنعه مولدو الأزهار من مختلف الأحجام والألوان والأصول

روقهم أن ينبتوا الوردة السوداء فيستفيد عالم النبات فائدة

لا شك فيها إذا أضيف ذلك اللون إلى ألوان الوزود

ولكنه يجنى على الورد وعلى عالم النبات لا مراء إذا تمادى فى تجاريبه حتى يزول الورد الأحمر والورد الأبيض والورد الذى يولد على ألوان مختلفات بغير تخليط وتهجين

وخير لبنى الإنسان أن يتعلموا التآلف وهم مختلفو العناصر متعددو المزايا جامعون بين فضائل العنصر القح والعنصر الهجين من أن يتآلفوا وهم لون واحد فقير المزايا قليل الاختلاف

على أننى أحمد هذا اللقاح وأتمنى لو يظفر الفكر الإنسانى بأنماط شتى من غير هذا القبيل كما ظفرنا بذلك النمط من ذلك القبيل

عباس محمود العقاد

دراســـــات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الشعر والنثر

قدمنا أن الأدب ينقسم إلى الأدب الإنشائى والأدب الوصفى . فالآن نبين أن الأدب الإنشائى ينقسم قسمين : شعراً ونثراً[1]

فالشعر أو القريض ، كلام موزون مقفى

الوزن أن يكون للكلام مقادير محدودة من الحركات والسكنات متتابعة على نسق خاص . فينشأ من هذا التتابع نغمة وتختل هذه النغمة إذا زادت الحركات والسكنات أو نقصت ، أو اختلف تأليفها .

والتقفية أن تكون أبيات القصيدة الواحدة متشابهة فى أواخرها ولا سيما الحرف الأخير . فى قول المتنبى :

(١) يرى علماء الأدب واللغة أن الشعر مأخوذ من شعر بمعنى فطن . أكبر العرب هذا الضرب من الكلام فخصوه باسم الشعر وسموا قائله شاعراً . وعدوه ملهماً ممتازاً بشعور ومعرفة

ويجوز أن يكون الشعر مأخوذاً من شعر بمعنى غنى . ويقرب هذا أن كلمة شير فى العبرية معناها الغناء ، وأن العرب يقولون أنشد شعراً والانشاد رفع الصوت

والنثر مأخوذ من نثر الحب نثراً أو نثاراً إذا فرقه وقد روى عن ابن مسعود وحذيفة في قراءة القرآن : « هزاً كهز الشعر ونثراً كنثر الدقل » أي كما يتساقط الرطب اليابس من النخلة إذا هزت - ولما سمى الشعر نظما تشبيها بالعقد المنظوم ونحوه سمى الكلام غير الموزون نثراً كما ينثر العقد

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

نجد البيتين على وزن واحد تتوالى الحركات والسكنات فيهما على نسق متفق وينتهيان بكلمتين متشابهتين فى الوزن وفى الحرف الأخير . وهما نائم وباسم . وسيأتى تفصيل هذا فى باب الشعر

أما النثر فكلام لا يلتزم فيه وزن ولا قافية

وتعريف الشعر والنثر بهذين التعريفين فيه نظر إلى الألفاظ لا إلى المعانى

وأما تعريفهما من جهة المعنى فالشعر كلام تنشئه عاطفة قوية أو خيال والنثر كلام مطلق يكون أحياناً مبنيًّا على الفكر المرتب، وأحياناً ناشئاً من العاطفة والخيال كالشعر . فالنثر من جهة المعنى أعم من الشعر

والتعريف المأثور عن أدباء العرب هو التعريف الأول — التعريف اللفظى

وقد نظر قدماء اليونان إلى معنى الشعر دون لفظه فقالوا إنه الكلام المبنى على الخيال المؤثر فى النفس بالترغيب أو التنفير[1]

والحق أن العرب حين نظروا إلى صورة الشعر فعرفوه التعريف السابق لم يهملوا جانب المعنى فيعدّوا كل منظوم شعراً . بل كان الشعر عندهم من جهة معانيه كالشعر عند اليونان . قال قدامة فى نقد النثر : وإنما سُمِّى شاعراً لأنه يشعر من معانى القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره . وإذا كان إنما يستحق اسم الشعر بما ذكرنا فكل من كان خارجاً عن هذا الوصف فليس بشاعر وإن أتى بكلام موزون مقفى[2]

وإنما نظروا إلى الجانب اللفظى لأنه الجانب المحسوس الواضح الذى لا يشارك الشعر فيه النثر . وربما كان أول من عرّف الشعر العربى رجال العروض الذين ينظرون إلى ألفاظ الشعر دون معانيه وكذلك اليونان حين عرفوا الشعر من جهة المعنى لم يكن

(١) ونجد فى الكتب العربية هذا التعريف بألفاظ مختلفة : عرف الجرجانى الشعر بأنه قياس مؤلف من المخيلات . والغرض منه انفعال النفس بالترغيب أو التنفير

وفى كتب المنطق : الشعر هو القياس المركب من مقدمات يحصل للنفس منها القبض والبسط

(٢) نقد النثر ص ٦٦

شعرهم خالياً من الوزن والقافية ولكنهم نظروا إلى ناحية دون أخرى

والشعر والنثر مشتركان فى قواعد البلاغة وقوانين الكلام وإن كان الشعر فى جملته أميل إلى المجازات والاستعارات من النثر . قال قدامة بن جعفر فى كتابه نقد النثر :

« وقد ذكرنا المعانى التى يصير بها الشعر حسناً وبالجودة موصوفاً ، والمعاني التى يصير بها قبيحاً مرذولاً . وقلنا إن الشعر كلام مؤلّف ، فما حسن فيه فهو فى الكلام حسن ، وما قبح فيه فهو فى الكلام قبيح . فكل ما ذكرناه هناك من أوصاف حد الشعر فاستعمله فى الخطابة والترسل ، وكل ما قلناه عن معايبه فتجنَّبه هنا[1] » .

• ولكن يختلف الفنان فيما يعالجان من الموضوعات وفى طريقة البيان إجمالاً . فالأصل فى الشعر أن يتناول الأمور التى هى أدخل فى العاطفة والخيال ، وأن يتأنق فى التصوير والتجوّز . والأصل فى النثر أن يتناول الموضوعات الطويلة التى تحتاج إلى تفكير وتوضيح وأن يبين إبانة طبيعية ، وربما يشارك النثر الشعر فى موضوعاته فقد كتب الكتاب منذ القرن الرابع فى الفخر والهجاء والمدح والعتاب والغزل الخ وربما يشاركه فى عباراته وأساليبه كذلك .

ولكن يبقى بعد هذا أن الشعر والنثر فى أصلهما مختلفان فى الموضوع وطريقة البيان ، ولولا اختلاف الشعر والنثر فى الموضوع والتصوير لكان الكاتب المجيد شاعراً مجيداً إذا استطاع أن ينظم ، ولكان الشاعر المجيد أجود فى كتابته حين يتحلل من قيود النظم ، ولكن الإجادة فى الاثنين معاً لا تتفق لأكثر الناس . وقد سئل أبو اسحاق الصابى عن الفرق بين الكتابة والشعر فقال :

« إن طريق الإحسان فى منثور الكلام يخالف طريق الإحسان فى منظومه ؛ لأن الترسل هو ما وضح معناه وأعطاك سماعُه فى أول وهلة ما تضمنته ألفاظه ، وأفخم الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة » ثم علل الصابى قوله هذا بفسحة النثر وضيق النظم

وكلام الصابى ليس صحيحاً على هذه الصورة لأن الغموض لا يحسن فى النثر ولا فى الشعر وكأنه أراد أن يقول إن الشعر

(1) نقد النثر ص ٨٣

من برجنا العاجي

« . . . لم يتيسر لى قراءة كل كتبك . إنما الذى قرأته لك هو مقالات وقصص ومساجلات فى الصحف والمجلات ومع أن كل آرائك حرة وجريئة إلا أن رأياً واحداً هو الذى ملك شعورى وكيانى : (إن من ملك قلباً حاراً ولساناً حراً فهو الذى يستطيع أن يسود العالم) . سيدى : إن قلبي لحار وإن لسانى لحر وبهاتين الوسيلتين بعظم أملى فى المستقبل. إنى أعشق الجمال وأحب الأدب الرفيع ولكنهم يريدوننى أن أكون معلماً بإحدى المدارس الألزامية . إن جو القرية يكاد يخنقنى . أريد أن أؤدى رسالتى فى الحياة ، وهى رسالة الكاتب الموهوب ، لا أن أعيش على هامش الحياة ! إنه ليسرني أنى استطعت إسماعك صوتى . فإن رأيت يا سيدى أن هذه النواة أهل للحياة فتعهدها بالغرس والرى . لى من حسن الأمل فيك ما يجعلنى أطمئن إلى أنك لن ترمى برسالتى فى سلة المهملات . . . »

قبل كل شئ أحب أن أقول لصاحب هذه الرسالة أن يحسن ظنه بحياته . فلئن كان هنالك إنسان يعيش على هامش الحياة فهو أنا صاحب هذا البرج القصىّ . إن جو القرية لا يمكن أن يكون خانقاً للقلب الشاعر . وإن مهنة التعليم والعمل على تكوين نفوس نبيلة ، ونفخ روح الجمال فى نشء ساذج ، وإيقاظ عيون صغيرة على حسن الطبيعة ؛ كل هذا خلق فني فى ذاته . ولكننا لا نريد أن نرى الخلق إلا فى مقال يكتب ، ولا المجد إلا فى هراء ينشر . هنالك شعراء عظام ما فارقوا قراهم قط وما تركوا صناعاتهم الصغيرة قط . إن القلب الحار يسبغ الخير والجمال على ما حوله . ولو كان لصاحب هذه الرسالة قلب حار حقيقة لظهر لهذا أثر فى قريته ومدرسته أولاً ثم فى مادة نفسه ثانياً . فالقلب الحار يحتاج إلى وقود ليشع ولا يخمد وأيسر الوقود الكتب . وصاحب الرسالة لا يقرأ كتباً ولكنه يطالع مطالعات سطحية سريعة ناقصة . كم من الأعوام وكم من أكداس الكتب تلزم للقلب وقوداً حتى يقال إنه « قلب حار » !

توفيق الحكيم

أقرب إلى الإجمال فى بيانه . وقيوده تحول دون الإيضاح الذى يملكه الناثر

فطبيعة النظم تبيح للشاعر شيئاً من الغموض والتقديم والتأخير لا يباح فى النثر ، ولكن الغموض ليس مستحسناً فى منظوم ولا منثور

وقال ابن خلدون فى الفرق بين الشعر والنثر :

واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر، والحمد المختص بالخطابة ، والدعاء المختص بالخطابات وأمثال ذلك

وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه فى المنثور من كثرة الأسجاع والتزام القافية وتقديم النسيب بين يدى الأغراض ، وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا إلا فى الوزن »

عبد الوهاب عزام

خواطـــر

للأستاذ فليكس فارس

— ١ —

« لم يكد صانع الأحذية السيد فيكانى السورى العربى يصنع أحذية عقيلة الرئيس روزفلت حتى اهتمت البلاد كلها باختراعه فأصبح الرجل الفاشل المعدم بالأمس « رجل الساعة فى الصناعة » تنهال الطلبات عليه من كل صوب ، وتحول مصنعه لتصليح الأحذية العتيقة معملاً كبيراً يجتذب ملايين الزبائن. وهكذا حقق « الصغير الفيكانى » فى الولايات المتحدة ما حلم به فى قريته منذ ثلاث وأربعين سنة فى وطنه النائى » **(استباند والاس)**

هذه كلمة من إحدى كبريات جرائد الولايات المتحدة موقعة بامضاء كاتب من أشهر الكتاب فى العالمين الجديد والقديم

وقد وقعنا على مقال فى مجلة (المناهل) التى تصدر فى مدينة بونس إيرس عن قصة الفيكانى فاخترنا تلخيصها :

« قدم السيد الفيكانى من سوريا وقد ضاقت بوجهه سبل الارتزاق من حرفته .فنزل فى بلدة « كرنبدال » حيث اتخذ له دكاناً لترقيع أحذية الفقراء فكان دخله يكاد لا يفى لتأمين معيشته . ولكنه لم يستنم للضيم وأخذ يفكر ويجرب على نور اختباراته فى صنعته حتى وفق أخيراً إلى اختراع قالب لحذاء يتمتع منتعله بالراحة التامة مهما كان شكل قدميه ومهما تجشم من مشقة السير أو الوقوف ، وسجل اختراعه . وما عتم حتى أقبل أهل القرية على استعمال أحذيته ؛ فابتسم له الحظ ، إلا أنه بقى يزاول عمله بيديه لعدم وجود رأس مال كاف يستعين به على بناء مصنع كامل العدة إلى أن وقع نظره يوماً على صورة للسيدة إليونور عقيلة الرئيس روزفلت فتاً كد من ملامح وجهها أن حذاءها يؤلم رجليها ، فقصد العاصمة . وهناك بدأ من جهة يتسقط المعلومات اللازمة لتهيئة الحذاء الذى سيفتح له باب الشهرة والثروة ، ومن جهة أخرى يراجع ذوى الشأن للحصول على مقابلة السيدة الأولى حتى بلغ القصد بعد انتظار دام تسعة أشهر. وما مثل لديها وعرض الحذاء المبتكر حتى انتعلته وسارت تتخطر فى القاعة جذلة راضية وهى تردد عبارات الثناء؛ ثم أوصته بصنع أزواج عديدة فكان هذا الطلب فاتحة شهرة الرجل وباب ثروته »

***

ليتسم من يشاء لهذه القصة من الشبيبة المثقفة الحالمة بتربع دسوت الوزارات والتهافت على باطل الأمجاد وكاذبات الأمانى ، المحتقرة لكل عمل لا تدور به عناصر التحكم بالناس والترفع عن كل حرفة ، فإن من هذه الشبيبة فئة علمتها عثرات الآمال أن تعتمد على نفسها وتنطلق فى ميادين الأعمال الحرة من أى نوع كانت ، وهذه الفئة تباهى بالإسكاف الوضيع الذى عرف أن يجعل السيدة الأولى فى أعظم الأمم ثروة وعدداً وجهداً تشهد بفضله وتثنى عليه لأنه ابتكر طريقة تريح الناس من عناء تحملوه عبثاً حتى كشف سره وهو لا يحمل شهادة الفلسفة بل لعله أمىٌّ لا يعرف من العلم شيئاً

ليس من عمل حقير فى العالم إلا العمل الذى تديره يدٌ متواكلة بتفكير حقير ...

إن فى حرفة الكماسة مجالاً للعبقرية، كما أن فى مهمة إدارة الأمم مجالاً للحماقة والغرور . ولو أن كل فرد فى هذه الأمة اتجه إلى إتقان عمله باذلاً فيه كل جهده لبدت طلائع الرقى بين الطبقات الوضيعة قبل أن تبدو بين الطبقات العليا

إن حياة الأمم تبدأ بانتباهة الفرد ونشوء فكرة التضامن

بين جماعاته الصغرى . فلو عملت الفئة الناهضة المثقفة فى هذه البلاد على إثارة هاتين القوتين فى المزارع والقرى الصغيرة لقضت على التواكل والخمول ولرأينا بدلاً من الشعب الذى يتوقع من حكومته كل شيء، شعباً واثقاً من نفسه يقيم كل شيء على سواعده

أما يكفى الأمة لتحيا أن يكون حاكموها منها ولها وأن يعدل القضاء بين أفرادها ؟

— ٢ —

كلمة قد تجىء ثقيلة على بعض الأسماع، وقد يتلقاها من توجه إليهم بالصمت والتبرم ولكنها كلمة حقٌّ الجهر بها علينا لأننا اعتقدناها حقاً

لقد كثر عدد الكتاب والشعراء الذين يملكون البيان الصحيح ولكن قل بينهم من ينطق بهذا البيان بلهجة العربية الأصلية محررة من كل لكنة دخيلة أو رطانة أجنبية

وإن نحن أردنا تصنيف اللهجات التى تصدها فصاحة اللغة وتتململ منها مقاطعها وحروفها وحركاتها وسكناتها أمكننا أن نردها إلى أصلين : اللهجات التى أدخلتها العامية على الفصحى، فمنها ما حولت الجيم إلى جيم أفرنجية تتنافر وسائر الحروف الحلقية، والألف إلى ألف فارسية تخرج مفخمة من الخياشيم كأن عليها « أكسانبير كونفلكس» مزدوجة[1]، ومنها ما حسبه بعض المتحذلقين نهاية الإبداع بالاحتفاظ بالحركات النحوية فى أواخر الكلمات وبخاصة عند الوقف فتأتى الحركة نافرة كأنها الشجى فى حلق المتكلم أو كالقرار الموسيقى الافرنجى المقطوع على بقية كذَنَب كلب الراعى

أما الأصل الثانى فرطانة جميع لغات الدنيا نازلة منزلة الضيف غير المحتشم على مخارج حروفنا وموسيقى مقاطعنا

إن الفرنسى عند ما يتكلم بلغة أجنبية لا يكاد يتلفظ بجملة واحدة حتى تسمع لغة أمه نافرة بغنتها من فمه مشوهة اللغة الأجنبية، وهكذا الإنجليزى والألمانى والإيطالى الخ ..

أما نحن أصلح الله عيب التقليد فينا ، فإننا نتكلم لغات العالم محتفظين لكل منها بفصاحتها، وبيننا من يبزّ الانكليز والفرنسيين بنقاء لهجته ، غير أن الكثيرين ممن تلقوا العلم فى المدارس الأجنبية أو تسنّى لهم أن يمضوا ولو مدة صيف واحد فى أوربا تُشلُّ عضلات أحناكهم أو تتشنج أعصابها فيأتون السامعين بعجائب الفصاحة وغرائبها حتى ليصعب عليك لأول ما يطلق الخطيب أو الشاعر صوته فى الراديو أو على المنبر أن تتميز اللغة العربية فيما يقول ، ولكم من عربي ابن عربي بيننا نحسبه أحد الآباء القادمين من فرنسا أو أحد المرسلين من انكلترا ...

* * *

دخلت امرأة أجنبية إلى مخزن لتشترى قماشاً فطلبت من المستخدم أن يريها بضاعة شرحت أوصافها على قدر ما تسمح لها معرفتها بالعربية فأوردت ضمير المخاطب بدل ضمير الغائب وقلبت المذكر مؤنثاً والمؤنث مذكراً ، واستبدلت بالفاء والعين والقاف حروفاً من لغتها فإذا بالمستخدم العربى يتقدم مدلياً ببيان طويل عما لديه من الأصناف باللغة التى خوطب بها دون ارتكاب خطأ واحد فوقفت السيدة تتفرسه قائلة :

— آجيب هو انتى من مملكت بتاع أنا .

وإذ أجاب المستخدم نفياً أطلقت لسانها بالسباب والشتم وخرجت من المخزن معتقدة أن حضرته يهزأ بها ويقلدها ليحتقرها

مسكين هذا المستخدم، إنه ساير الأجنبية تملقاً بقصد تصريف بضاعته ، فأية بضاعة يريد تصريفها بعض المقلدين بيننا حتى من رجال الأدب ، وأى معنى لهذه المسايرة السخيفة التى تضحك الأجانب أنفسهم .

بقيت كلمة لن أدعها عالقة بقلمى ، وإن كنت أعلم أنها ستغضب كل من سطت العادة على ذوقه سواء أكان سليماً أم غير سليم .

من أية لغة اقتبس حرف « أ » فى كلمة « أب » ؟ وليس فى لغات العالم ما يشبه هذا الصوت الذى تحسبه قرعة دف فلا يمكن كتابته إلا إذا خلقت ألفاً جديدة تتركب من سائل القاف ومسحوق الضاد وشىء من صيحة الاستنفار ثم أتيت بالباء مشددة بأربع شدات، وقد لا نصل بهذا الإملاء إلى تمثيل خشونة هذه الكلمة وثقلها مع أنها من ألطف ألفاظ العربية ومن أروعها تمثيلاً لعطفة الطفل على والده .

وأخيراً أتمنى لو عمل هؤلاء المصابون بداء الرطانة والحذلقة على الاستشفاء بإصغائهم إلى فصحاء هذا الجيل كالأستاذ الأكبر المراغى والأستاذ أمين الخولى مثلاً فى النثر ، وكالأستاذ الجارم والأستاذ أحمد رامى فى الشعر ، فإن تصحيح اللغة على الألسن ليس بأقل أهمية من تصحيحها فى الجرائد والكتب

(الاسكندرية) **فليكس فارس**

(1) ومنها التاء المربوطة تلفظ تاء ساكنة عند الوقف بدلا من التلفظ بها هاء.

أعلام الأدب

هجـــرة يوربيدز

للأستاذ دريني خشبة

ساءت حالة أثينا والأثينيين بعد موت بركليس (٤٢٩ق . م) ، وأخذت المصائب تترى عليها في الداخل والخارج ... في الداخل على أيدي تلك الطغمة الشقية من زعماء الشعب وقادته الذين نبتوا فجأة فورثوا الزعامة كما ورثها ألسبيادس النزق الطياش عن بركليس العظيم ، أو تملقوا الجماهير الغافلة التي لا إرادة لها . فأسلست لهم قيادها فأوردوها المهالك بعد ما ضللوا بها تضليلاً كبيراً متخذين من فساد الديمقراطية بعد موت بركليس سلاحاً يشهرونه في وجوه العقلاء والمفكرين .

أما في الخارج فقد تتابعت الهزائم على جيوش أثينا ، وأحرق الأسبرطيون حقول أتيكا وقراها ودسا كرها كما صنع الفرس من قبل ، ثم حطموا قوة أثينا البحرية التي كانت تلقي الرعب في قلوب الدويلات الهيلانية .

كان يوربيدز يرى ما حل ببلاده الأثير المحبوب وهو جالس كالقديس في كهفه الجميل الفريد في صخرة سلاميس فيأخذه الوجد ، ويحزن أبلغ الحزن على ما آلت إليه الحال في أثينا من انحطاط مستوى الشعب الخلق ، وتضليل الزعماء بالناس ، واقتتالهم على جاه الرياسة الزائف في حين قد أصبحت حرمات الوطن حلاً لكل والغ ، ففي كل يوم غزو ، وفي كل يوم قهر لعزة الوطن ، والإسبرطيون في كل فج يذلون العزة القومية ، وينشرون الفقر ، والأقوات منقوصة في أثينا ، والأمراض تفتك بالأهلين ، والأهلون لاهون عن كل ذلك بالجدل السياسي المقيم ، وبإلقاء التهم جزافاً على رأس كل وطني مخلص . فيوربيدز كان يدعو للسلم لأنه كان يتمنى الهزيمة لبني وطنه ... فليُنْبَذ يوربيدز إذن ... وليذكر ماضيه الزاخر بعداوته للمرأة وإلحاده بالآلهة ، واستهتاره بتقاليد السلف الصالح ، والفت بدعوته للسلم في أعضاء الجند ... ثم هو يسخر بالديمقراطية فهو من شيعة الاستبداد ... ثم هو تلميذ السوفسطائيين الملاحدة وصديقهم ، وأحد المبشرين بآرائهم ... فليؤخذ أخذاً شديداً لا هوادة فيه ولا مرحمة .. ولتشرك زوجته في خلق المتاعب المنزلية له فتصبح حياته جحيماً في المنزل ، وجحيماً في المجتمع ، وجحيماً في أثينا كلها ... ولماذا يبالي الشعب الضال ، والزعماء الأوشاب من طعن يوربيدز في شرفه ؟! أليس قد اشتهر أن زوجته الأولى قد خانته ؟ فلماذا يتورعون من إرسال التهمة نفسها عن زوجته الثانية ! ثم لماذا لايدسون إليه من يحدثه بذلك ! أليست هي فضيحة والسلام ؟ أليس المقصود هو وخز هذه الروح العالية الكريمة المتأبية ؟ فماذا ينفع في وخزها إلا صغار هذه الشائعات ؟ ألا لا أفلح شعب لايحرص زعماؤه على الأخلاق ، ولا أفلحت أمة يبلغ بها الهوان أن تعبد أمثال أولئك الزعماء !

كان يوربيدز معتزلاً جميع الناس في كهفه المنفرد ، وهذه الضائقة الأخلاقية تفتك بمواطنيه ، وكانت أنباء الأزمة تبلغه فيبتسم ساخراً ، ثم يعبس عبوسة عميقة مريرة ظهرت آثارها في درامته التي كان ينظمها في ذلك الحين (أورست ٤٠٨ ق . م) والتي حلل فيها أخلاق رجل ملتاث أو به مس لأنه قتل أمه ، وكيف أعدى هذا الرجل جميع من حوله بجنونه وخصوصاً أخته ألكترا وصديقه بيليدز ، وكيف انتهى أعوانه إلى حرق القصر الملكي في آرجوس ليكون أول مشهد من نوعه يعرفه المسرح اليوناني ...

وبالرغم من روعة أورست وأنها من أقوى مانظم الشاعر فقد سقطت لأنها من نظم عدو الشعب ، الرجل الغني البخيل الذي طالما بخل بأمواله على بلاده في أشد أوقات محنتها ... هذه تهمة جديدة حاكها الرعاع حول يوربيدز ، لأنه كان يقتني مكتبة من أحفل مكتبات أثينا بالكتب بل من أحفل المكتبات الشخصية في العالم في ذلك العصر الذي كانت تبلغ فيه قيمة الكتاب الواحد مالا قبل للفقير به

إذن فليهاجر يوربيدز !

وليلب دعوة أهل مجنيزيا له[1] ، ليحل عليهم ضيفاً حيناً من الزمان ، فإن بينه وبينهم صداقة قديمة ومحبة كانت تجعل لهم

(١) إحدى مدائن وادي ميأيدر بالقرب من إفسوس

منه فى أثينا سفيراً يسهر على صوالحهم وييسر حوائجهم ... وليتلبث عندهم أياماً ثم "فَلْيُلَبِّ" دعوة ملك مقدونيا العظيم الملك آرخيلوس، الذى كان يجمع حوله بلاطاً زاهياً زاهراً من أعظم رجال الفكر والفن فى العالم ، والذى كان يعتقد أن انتهاء أثينا على هذا النحو المزرى لا يعنى انتهاء المجد اليونانى ، بل يعنى هجرة هذا المجد ، وما دام أعظم رجال الفكر والفن اليونانيين قد هاجروا ، واختاروا بلاط مقدونيا مُهاجراً لهم ، فسترث مقدونيا هـذا المجد الأثينى الباهر العظيم ، وستنهض مقدونيا فى عالمى الفكر والحرب . وسيكون من ملوكها الملك فيليب وابنـه الإسكندر ومن أضيافها العظماء الفيلسوف آرسطو المعلم الأول !

كان آرخيلوس ملك مقدونيا وواضع اللبنة الأولى فى بناء نهضتها يطمع من قديم فى اجتذاب الشاعر يوربيبيز إلى بلاطه لشدة إعجابه به ، وكان يعرف ما يلاقى يوربيبيز من قومه من الهون وسوء التقدير ، فدعاه مرة وأطعمه فى حياة هادئة هانئة لا يعكر عليه فيها صفاءه معكر ، لـكن يوربيبيز شكر واعتذر ، فلما هاجر إلى مجنزيا وعرف الملك ذلك جدد دعوته وشدَّد ، فلبى يوربيبيز وأجاب ، وشد الرحال إلى البلاط المقدونى المتلألئ ، حيث وجد من رجال الفن زيكسيس أعظم مصوِّرى عصره ، وحيث وجـد الشاعر التراجيدى العظيم أجاثون ، والموسيقى الخالد تيموتيوس الذى كان يوربيبيز قد أنقذه من الانتحار كما مر بك ... ومما يؤثر فى قليل من الشك أنه لقى ثمة المؤرخ العظيم تيوسيدز

أقام يوربيبيز فى هذا البلاط الزاهر فكافأه الحظ السعيد لأول مرة فى حياته مكافأة معنوية عالية لم يكافئ بها الزمان أحداً من الأدباء قط ... لقد وردت الأنباء من سيراكوزه حاضرة صقلية بأن أسرى الحملة اليونانية التى أرسلها ألسبيادس لغزو الجزيرة والذين بلغ عددهم سبعة آلاف أسير قد اشترط الصقليون لإطلاق سراحهم أن يلقوا مقطوعات من شعر يوربيبيز ، فمن استطاع منهم ترتيل شىء من هـذا الشعر ولو كان بيتاً واحداً فقد أطلق سراحه وصار حراً ، ومن لم يستطع فقد حل للصقليين استرقاقه ! أى مكافأة هذه يجود بها الزمان على شاعر ؟ ! وأية منزلة بلغها يوربيبيز فى الأوساط المثقفة المستنيرة فى الزمن الذى كان يعيش فيه ! ولـكن ماذا كان أثر هذا الجيل فى أثينا والأثينيين ؟ ! لقد كان أثراً بالغاً من غير شك ، لقد شعروا بالخزى لأن أمماً أخرى غير أثينا قد أخذت تستيقظ وتتنبه ، ثم تسمو نحو المجد الأدبى حتى لقد عرفت من أدب يوربيبيز الأثينى ما لم يعرفه الأثينيون !

لم يسكن يوربيبيز إلى الدعة فى مقدونيا ، ولم يزهه إعجاب البلاط به فيستنيم إلى نشوة الخيلاء ، بل لعل الفضل الأكبر يرجع إلى هذه النشوة فى نظمه أعظم دراماته جميعاً (الباخوسية)[1] أو سكارى[2] باخوس

وتشبه الباخوسية من حيث الفكرة العميقة وجمال الموضوع بروميثيوث المصفَّد لأسخيلوس ، وقد نسى فيها يوربيبيز أدب الواقع قليلاً . ثم تغلغل فى صميم الأساطير القديمة وغرق فى الأدب التقليدى الذى كان هو زعيم الثورة عليه ... ولا ندرى لم يعير المؤرخون هذه الرجعة من يوربيبيز اهتماماً ، فلم يعللوها ولم يعرضوا لبحث أسبابها ... على أن مما لا ريب فيه أن أكبر أسباب هذا التحول هو البلاط المقدونى نفسه والبيئة المقدونية التى كان الشاعر يعيش فيها ... فأحلام رجال البلاط بالرغم من الأفراد الممتازين الذين جذبهم الملك إليه كانت أحلاماً بدائية مما يزدهيها أدب الملاحم والأساطير ولا يروقها الأدب التحليلى الذى ابتكره يوربيبيز ونظم فيه أروع آثاره... أما البيئة فقد ترددت أصداؤها فى الباخوسية بهذه القطع الخالدة التى صور فيها الشاعر كثيراً من مناظر الطبيعة فى مقدونيا تصويراً حياً رائعاً لا يكاد يدانيه شىء فى جميع ما نظم

والعجيب أن تكون الباخوسية مع ذاك أروع درامات يوربيبيز بالرغم من أنها نكسة فى مذهبه ، وربما كان العنصر الإلهى الذى امتازت به هو الذى جعل لها هذه المرتبة بين دراماته .. وهو العنصر نفسه الذى ارتفع بروائع الأدب الأخرى وأكسبها الخلود مثل كوميدية دانتى وفردوس ملتون ورسالة الغفران لأبى العلاء وفاوست لجيته

---

(١) اختلف مؤرخو الـكلاسيك فى اسم هذه الدرامة فأثبته موراى كما جاء فى اليونانية Bacchae وسماها بورا The Bacchants ومعناها كهنة باخوس ، أو المرحون ، أو السكارى ، أما ملمان ، أحد مترجمى يوربيبيز (مجموعة دانت حـ ١) فقد سماها The Bacchanals ومعناها عباد باخوس أو مرابيد باخوس

(٢) المقصود جمع المؤنث من سكرى بفتح السين

والباخوسية تفيض بروح لاذعة من السخرية، وفيها مناظر تضحيكية مرة تقف بالإنسان ليتساءل: ترى هل بين هذه المناظر وما جاء مثلها في درامة إفجنيا في أوليس التي لم يكملها يوريبيدز، صلة؟! هل من الحق أن المناظر التضحيكية التي تفيض بها إفجنيا ليست من صنع يوريبيدز؟ وهل الفن الذي نشهده في إفجنيا هذه هو فن غريب عن يوريبيدز لأنه لم يرد في دراماته أيضاً؟ فلم إذن حشد يوريبيدز هذه المناظر التضحيكية في الباخوسية التي نظمها في مقدونيا كما نظم أختها إفجنيا هناك؟!

هذه أسئلة ترغم الإنسان على إعادة النظر في كل ما قيل عن فن يوريبيدز!! لقد رأينا كيف تأثر سوفوكليس الشيخ بيوريبيدز الفتى في أخريات حياته، أفلا يكون يوريبيدز هو الآخر قد تأثر بعدوه أرستوفان؟

* * *

يقدم إله الخمر باخوس ـ أوديونيزوس ـ متنكراً في رهط من نسائه السكارى المتوحشات إلى طيبة فيذوده ملكها بنثيوس عن القصر الملكي، ويغلو هو ونساء الحاشية الملكية في انتهاره والإزراء به، والتهكم عليه. ثم يأمر الملك بتكبيله بالقيود والأصفاد ثم بإلقائه في غيابة السجن ذليلاً محسوراً ... وهنا تتجلى القدرة الإلهية العجيبة، فإن ديونيزوس الذي يصبر لهذا الهوان من أحد رافضي عبادته يرسل طائفاً من الجنون يجتاح سيدات القصر الملكي كله بما فيهن أجاف أم الملك فينطلقن مهرولات مولولات لينخرطن في صفوف ديونيزوس، وليعكفن على عبادته. وينصح أشياخ الشعب الطيبي للملك أن يحد من غلوائه ضد الإله وأن يشرب قلبه محبته عسى أن يغفر له، لكن الملك لا يزداد إلا شموساً، فلا ييأس ناصحوه من النصح له حتى يقبل آخر الأمر أن يستخفي في زي امرأة ثم ينطلق إلى جبل كيثارون حيث يختبيء في بعض الأدغال القريبة ليشهد كيف يقبل نساؤه الملكيات على عبادة الإله وليقف بنفسه على مدى خشوعهن له ... وما يلبث الملك المستخفي أن يفتضح أمره فيضبطه نساؤه في مخبئه، وتهجم عليه أمه وهي مخبأ هي فيه من طائف الجنون المقدس فتقتله ثم تمزقه إرباً، وتنثر في الهواء أشلاءه، وتنطلق برأسه نشوانة بخمر النصر وهي تحسب أنها قد قتلت أسداً، وأن الرأس الذي تحمله هو رأس ذلك الأسد!

فإذا انتهت إلى القصر، وراحت تفتخر بفعلتها التي فعلت، لقيها أبوها قدموس الذي آب هو أيضاً من جبل كيثارون حاملاً أشلاء حفيده، فيقول لها وتقول له، وقد فاءت قليلاً من طائف الجنون المقدس:

أجاف — ماذا؟ ما الذي تنكرون؟ فيم أسفكم أيها الأهل؟[1]

قدموس — دوري بعينيك قبل كل شيء في الهواء الذي حولك!

أجاف — أدور بعيني؟ ولماذا أفعل يا أبتاه؟

قدموس — ألم يتبدل الأمر غير الأمر؟ ألم يحدث أي تغير!

أجاف — لله ما أجمل وما أبهى! أبداً ما رأيت مثل هذا أبداً؟!

قدموس — أما تزال خيلاؤك تهيمن على روحك!

أجاف — لست أدري ماذا تقصد! إني أفيق قليلاً ... إن عقلي المضطرب يصحو ...

قدموس — ألا تستطيعين أن تنتبهي وتجيبي على ما أسألك؟

أجاف — لقد نسيتُ يا أبتاه كل ما قلت!

قدموس — أتذكرين إلى من زففناك عروساً يا بُنيّة؟

أجاف — إلى إخيون الذي يدعونه ابن التنين!

قدموس — وتذكرين ابنه الذي حملت في أحشائك؟

أجاف — بنثيوس، الوشيجة المقدسة التي تربط قلبينا!

قدموس — إذن رأس من هذا الذي تحملين في كلتا يديك؟

أجاف — رأس أسد! هكذا قال رفاق الصيد!

قدموس — أنظري إليه إذن فلن يكلفك النظر إليه عناء!

أجاف — ماذا أرى؟ ما هذا الذي أحمل في يدي؟

قدموس — أنظري إليه مرة ثانية .. إنك توشكين أن تعرفي!

أجاف — إني أرى الفزع الأكبر الذي ما رأيت مثله أبداً!

قدموس — هل هذا يشبه الأسد؟

أجاف — كلا! واتعساه! إنه رأس ولدي بنثيوس!

قدموس — ومع ذلك فلم تذرف عليه عيناك عبرة واحدة قبل الآن!

أجاف — من قتله؟ وكيف انتقل رأسه إلى يدي؟!

قدموس — أيتها الحقيقة المرة! لقد أتيت في غير الأوان!

أجاف — تكلم! إن قلبي يخفق حتى ليكاد يثب من بين أضالعي!

(١) الترجمة عن ملمان مجموعة دانت حـ ٢ ص ٣٤ وما بعدها.

قدموس — أنت يا ابنتي التي ذبحته . . . أنت وأخواتك !

أجاف — وأين ؛ هنا ؟ أم في أي مكان ؟!

قدموس — هناك ... حيث انقضت عليه كلاب أكتيون فمزقته إرْباً !

أجاف — ولم ذهب إلى كيثارون ولدى التَّعس ؟

قدموس — ذهب ليستهزئ بالإله ! وليسخر بالسُّكارى من عابداته !

أجاف — ولكن كيف وفيم ذهابنا نحن إلى هناك ؟

قدموس — لقد أصابك طائف من الجنون ، وقد جُنّت المدينة كلها معك !

أجاف — وا أسفاه ! لقد أهلكنا ديونيزوس ؟ آ لآن عرفت ذلك ! !

قدموس — هذا جزاء ما سخرتم به ... لقد نسيتم أنه إله !!

أجاف — وأين جثمان ابني يا أبتاه ! !

قدموس — ها هو ذاك ... لقد لقيت العناء في جمعه !

أجاف — وهل كل أشلائه سليمة ...و... هل أصابه ما كان قد أصابني ؟

***

ثم تبكي الأم ولدها ويبكي قدموس حفيده ، ويشتد في بكائه إياه لأنه سيظل بلا عقب ولا وارث للملك ولن تكون له ذرية من الرجال ... ثم يبدو الإله ديونيزوس فجأة فيصمت الجميع ، ويأخذ رب الخمر في إصدار أحكامه وإبرام إرادته فينذر قدموس أنه سيمسخه فيكون تنيناً ، وستكون زوجته هولة شائهة الوجه. أما أجاف فستكون هولة أيضاً وستنفى من طيبة إلى أقصى الأرض . . . فإذا تضرعت إليه أن يترفق بها ذكرها بما كان من استهزائها به وتهكمها عليه . . . ثم تودع أباها ووطنها وداعاً مؤثراً وتنطلق من فورها إلى منفاها السحيق

أما الإله فإنه يسمو صَعَداً في الهواء ليلحق بدولة الأولب ! !

فهل رأيت سخرية كهذه السخرية ؟ ! لقد حشد يوريبيدز طائفة كبيرة من الطعن في أهل البربر في الباخوسية ، كما لجأ كعادته إلى الإشادة بذكر الميلانيين ... وقد أقام في مقدونيا عاماً ونصف عام كان فيهما صفي الملك وحبيبه وصديقه . . . ثم مات يوريبيدز متأثراً بجراحه التي يزعمون أن كلاب الملك وكلاب المقدونيين أحدثتها به حينما انطلقت عليه تعقره وتعضه وتمزق جسمه(1) ؟ ! ... فهل هي رواية صادقة ؟ ! وهل بين هذه الرواية وبين ما طعن به على البربر علاقة ما ؟ وهل المقدونيون من البربر ؟ أم أن استخلاص الملك له وإيثاره إياه أثار في قلوب رجال الحاشية حسدهم له وموجدتهم عليه فأغروا كلابهم به ؟ !

لقد زعموا أن الملك وجد على يوريبيدز وجداً شديداً ... وأنه رفض إرسال جثمانه إلى أثينا ليدفن هناك وقد ألح الأثينيون في طلبه وتوسلوا إلى ملك مقدونيا بشتى الوسائل ، لكن الملك آثر أن يدفن صديقه بالقرب منه في بيللا Pella (سنة ٤٠٦)

دريني خشبة

(1) يروى أن الملك خرج للصيد يوما وكان يوريبيدز يحب العزلة على ما تعود فكان يخلو إلى نفسه في غابة قريبة هي التي خرج الملك للصيد فيها فانقضت الكلاب على يوريبيدز فعقرته ... وهي رواية مفندة

رجعة إلى البحترى

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

أبدى لنا بعض الأدباء الأفاضل شكا فى وصفنا للبحترى من حيث غلبة الصناعة على العاطفة فى شعره واختلاط الحقيقة بالخيال فى تلك الصنعة مما جعل بعض القراء يغترون بها ويحسبونها عاطفة . ولم نكن نريد انتقاص البحترى إذ عددناه ممثلاً فى صناعته، يمثل العواطف المختلفة تمثيلاً متقناً؛ ولم نُرَجِّح صحة رواية كتاب الأغاني عن طريقة إنشاده وعن طلبه الاستحسان من الحاضرين وزجرهم إذا لم يُظهِروا الإعجاب ، إلا لأن ذلك يفسر تناقض ما يمثل من العواطف والأحاسيس فى شعره ، كما سنوضح ، ويتفق وطريقة الصناعة اللفظية التى ينتشى فيها الصانع بما يقول ، وقد أغفلنا الإشارة إلى ما روى عن بخله إذ لا دخل لذلك بفنه ، وكذلك أغفلنا ما روى عن قلة اكتراثه بثيابه ونظافته ... الخ .

والحقيقة أننا نعجب بصناعة البحترى إعجاباً كبيراً ، لكن الإعجاب لا يمنع من الوصف والدراسة النفسية والسيكولوجية . وربما أخذ علينا بعض حضرات الأفاضل قولنا إن رثاءه للمتوكل كان صنعة وإننا نشك فى قوله : (أدافع عنه باليدين ... الخ) . وقد رفضنا ما قرأنا فى بعض الكتب من رواية لعلها رواية عدو أو رواية مازح أراد أن يداعب قوله : (أدافع عنه باليدين الخ) . فقد قيل إنه اختبأ أثناء مقتل المتوكل . ويكفى أن نقول إن الفتح ابن خاقان هو الذى حاول أن يدافع عن المتوكل بيديه وبجسمه فقتله الفاتكون وهو من زعماء الترك مثلهم ، فما كانوا يتعففون إذا عن قتل البحترى . إذا صح أنه دافع عنه باليدين إن لم يكن لغضب منه فلكى يصلوا إلى المتوكل . ولم نشأ أن نذكر أنه مدح المنتصر بعد أن هجاه فى رثاء المتوكل ، ومدح زعماء الفاتكين وعرّض بهجاء المتوكل فى مدحه للمنتصر كما سنوضح ، ومدح المستعين الذى خلف المنتصر والذى كان منافساً للمعتز بن المتوكل الذى مدحه البحترى فى رثائه للمتوكل ورجاه للخلافة ، ومدح ابن المستعين ورجاه للملك أيضاً ، كل ذلك والمعتز أسير حبيس ، ثم بعد أن ثار الجند الترك على المستعين الخليفة واضطروه أن يخلع نفسه وفتكوا به هجاه البحترى بقوله :

وما كانت ثياب الملك تخشى ... جريرة بائلٍ فيهنّ ... ري

وكان الغدر والخيانة والانتقاض أموراً شائعة فى ذلك العهد. وفى رثاء المتوكل يهجو المنتصر فيقول : (إذا الأخرق العجلان خيفت بوادره) ويقول :

ولا وأل (المشكوك فيه) ولا نجا ... من السيف ناضى السيف غدراً وشاهِرُهْ

وهذا يشمل المتهم بالتحريض غدراً وهو المنتصر ويشمل الذين شهروا السيف وقتلوا المتوكل وهم الذين مدحهم البحترى بعد ذلك . ورب قائل يقول : إن الشاعر لا دخل له بالسياسة فهو يمدح الحكومة القائمة . ولكن البحترى لم يكتف بمدح كل حكومة كانت قائمة بل كان يهجو الحكومة التى قُضِىَ عليها . وقد رأينا هجاءه للمنتصر فى رثائه للمتوكل فانظر كيف يمدحه ويقول :

سروا موجِفِين لسعى الصفا ... ورمى الجمار ومسح الحجر
حججنا البنية شكراً لِمَا ... حبانا به الله فى المنتصر

أى إنه حج كى يشكر الله على أن المنتصر تولى الخلافة وهو الذى يصفه فى المرثية بالأخرق العجلان ويرجو ألا ينجو من أن يُقتَل بالسيف لأنه متهم بالتحريض على قتل أبيه ، ولم يكتف بالحج شكراً بل وصف المنتصر بالحلم بعد وصفه بالخرق فقال :

من الحِلمِ عند انتقاض الحلو ... م والحزم عند انتقاض المرر
تَطَوَّل بالعدل لما قَضَى ... وأجمل فى العفو لما قدر
ودام على خُلُقٍ واحد ... عظيم الغناء جليل الخطر

ويقول :

ولكنْ مُصَفًّى كماء الغما ... م طابت أوائله والأُخَر
تلافَى البرية من فتنة ... أظَلَّهُمُ ليلها المعتكر
رددت المظالم واسترجعت ... يداك الحقوق لمن قد قُهِر
وآل أبى طالب بعد ما ... أذيع بسربهم فابْذَعَرْ
وصلتَ شوابك أرحامهم ... وقد أوشك الحبل أن ينبتر

وهذا المدح طويل جيد ، ولا يقل صناعة عن مدحه للمتوكل بل إن فيه تعريضاً بحكومة المتوكل وهجاء له ، إذ أن المتوكل هو الخليفة الذى غالى فى اضطهاد آل أبى طالب. وقوله (رددت المظالم) هجاء صريح للحكومة السابقة ، وقال :

بقيت إمام الهدى للهدى   تُجدّدُ من نهجه ما دثر

فإذا كان الهدى قد دثر وجدده المنتصر فمعنى ذلك أن المتوكل هو الذى كان الهدى فى عهدى مندثراً .

وفى مدح العباس بن المستعين يقول :

تولّتْهُ القلوب وبايعته   بإخلاص النصيحة والوداد
هو الملك الذى جُمِعَتْ عليه   على قدر محبات العباد

بعد أن كان لا يرضى بعد المتوكل خليفة إلا بالمعتز ابنه ، وقد قال فى ذلك (وإنى لأرجو أن تُرَدَّ أموركم الخ)

وفى مدح المستعين يقول:

تِلْو رسول الله فى هَدْيِهِ   وابن النجوم الزهر من آله

وهذا ليس مدحاً شكلياً لكل حكومة قائمة بل هو يُمَثّل عاطفة الولاء الشديد والاقتناع بالصلاح وإلا ما قال (تلو رسول الله)

وبعد أن جعل المستعين مثل رسول الله عاد بعد تعذيب الجنود له وقتله فقال: (وما كانت ثياب الملك تخشى الخ) وقال أيضاً فيمن شبهه قبل ذلك برسول الله :

ثقيل على جنب الثريد مراقبٌ   لشخص الخوان يبتدى فيواثبه
إذا ما احتشى من حاضر الزاد لم يبل   أضاء شهاب الملك أو كلّ ثاقبه
تخطّي إلى الأمر الذى ليس أهله   فطوراً ينازيه وطوراً يشاغبه

وبعد قتل المعتز مدح أيضاً الحزب المناوىء له وخليفة ذلك الحزب وكان فى مدح كل خليفة يذكر مدحاً يصح أن يحمل على محمل التعريض بالخليفة السابق الذى كان قد رفعه البحترى إلى السماء كما فعل مع المستعين(١)

وهذه الخطة لم تكن خطته نحو الخلفاء والوزراء فحسب ، بل إنه أيضاً صنع النسيب والتشبيب فى علوة الحلبية حتى ظن بعض النقاد أنه من أصدق النسيب وهو ليس كذلك ، فهو فى القصيدة الواحدة يصفها بالصيانة والتبذل فقال :

بيضاء رود الشباب قد غُمِستْ   فى خجل دائم يعصفرها
لا تبعث العُود تستعين به   ولا تبيت الأوتار تخفرها

وبعد هذا الوصف بالتصون يقول فى القصيدة نفسها :

وليـلة الشك وهو ثالثنا   كانت هناتٍ والله (يغفرها)

وعلى فرض صحة حدوث ما يستوجب (الغفران) أيليق ذكر ذلك فى النسيب الذى يصفها فيه بالتّصوُّن ؟ وأدهى من ذلك أنه عاد وهجاها أفحش هجاء بقول لا يتفق وما وصفها به من التصون وهو قول لا يمكن الاستشهاد به (صفحة ١٠٩ من طبعة الجوائب) وفيه أنكر عليها التصون والعفة والجمال والأنوثة. وقصته مع نسيم غلامه معروفة إذ كان يبيعه ويقبض ثمنه ثم يعود فيهدد الذى اشتراه حتى يرده إليه هدية كى يكسب المـال . ونسيبه فيه نسيب ظاهره الرقة وباطنه فساد الذوق الذى يكون عند ما تنعدم العاطفة وتُدّعى تمثيلاً قال فيه :

فقل لنسيم الورد عنّى فإننى   أعاديك إجلالاً لوجه (نسيم)

ولو كانت عنده عاطفة لقال :

فقل لنسيم الورد أقْبِلْ فإننى   أحبك مِنْ حبي لوجه نسيم

أو مِنْ حبي لطيب نسيم ، أو ما شابه ذلك إذ لا يُعقَل أنه يكره الرائحة الزكية لأن نسيم الورد اسمه مثل اسم نسيم . ما بقى إلا أن يتغزل فى الرائحة الكريهة إجلالاً لوجه نسيم كما يقول .

وقال أيضاً فيه :

لم تجدْ مثل ما وجدتُ وما أنـ   ـصفتَ إنْ أنت لم تجد مثل وجدى

كيف يكون من الذوق والصدق أن يطلب من ذلك المملوك الصغير أن يعشقه ويحس بوجد مثل وجده به والبحترى شيخ كبير والمملوك غلام صغير ؟ أظن أن هـذه الشواهد كلها تزكى وصفنا للبحترى وكنا لا نريد الإطالة ـ وهو وصف على أى حال لا يطعن فى علو صنعته .

فقد وصفنا فى مقالة (صيانة العقيدة من احتيال النفوس) أن النفس البشرية تستطيع أن تخفى عن نفسها قبح رذائلها وأن تزكيها بأن تلبسها لباس الفضيلة أو الدين

ومن نظراته الصادقة أيضاً قوله :

وما القرب فى بعض المواطن للذى   يرى الحزم إلا أن يشطّ ويَبْعُدَا

فقد يكون فى البعد من الإبقاء على المودة ما لا يكون فى القرب .

وهذه النظرات الصادقة ليست قليلة فى شعره بالرغم من فساد نظرته أحياناً. وأختم قولى عن البحترى بأن أعيد بيتاً له أعجب به وهو قوله:

ما أضعف الإنسـان لولا همة   فى نُبْلِهِ أو قوة فى لبـه

إذ يعجبنى منه اختصاصه النبل بالهمة واللب بالقوة وجعل قوة الإنسان فى همة نبله كما جعلها فى قوة لبه

(١) تولى المعتز ثم فتك به الجند أيضاً ثم ولوا المهتدى ثم فتكوا به أيضاً وولوا المعتمد فى زمن قصير ففتكوا بالمتوكل والمستعين والمعتز والمهتدى ويقال إن المنتصر مات مسموما .

والغريب فى أمر البحترى أنه قد يخطئ فى المعنى إذا كان نسيباً ويصيب فيه إذا كان مدحاً كأن الرُّغْبَ فى قلبه أشد من الحب . أنظر كيف فسد ذوقه فى قوله فى النسيب وقوله فى مملوكه نسيم :

فقل (لنسيم الوَرْدِ) عنى فإننى ... أعادِيك إجلالاً لوجه نسيم

ثم إلى قوله فى المدح :

إنى لأضمر (للربيع) محبة ... إذ كنتُ أُعْتَدُّ الربيع أخا كا

وإصابته فى البيت الثانى كانت خليقة أن تجعله يقول فى البيت الأول إنه يحب نسيم الورد لمشابهة الورد للنسيم ، كما أحب الربيع لمشابهته للممدوح ، ولكن له سقطات فى وصف الأحاسيس وماتقتضيه من القول شأن القائل بالصنعة لا بالعاطفة وإنْ كان أميراً لها . وأدهى مما ذكرنا أن عظيما من بنى حميد ماتت ابنته فحزن لموتها فنظم البحترى قصيدة يعزيه فيها فقال إن العاقل ينبغى ألا يحزن لموت أنثى أيّة كانت لأنها قد تجلب العار :

واستذلّ الشيطانُ آدم فى الجـ ... ـنة لَمَّـا أغرى به حَوَّاء

والفتى مَنْ يرى القبور لَمَا طا ... ف به من بنـاته الأكفاء

نعم إنه يُعرّض بمعنى العارْ ولا يصرح ولكنه تعريض كتصريح ، فنى القصيدة يقول : إن أعاظم العرب ما كانوا يئدون بناتهن فقراً (بل حَمِيَّةً وإباء) وذكر احتمال العار كى يعزى به أباً حزيناً على فقد ابنته ، والمُعزَّى من أعاظم الناس والفتاة التى ماتت من كريمات النساء . فساد فى ذوق الصانع حتى مع احتمال حدوث العار لو عاشت إذ يكون من نجاءات الحياة التى لا تتفق وكرم محتد التى يرثيها . هذا هو خطأ ذكاء الصنعة ، أما إذا أسلم نفسه لذكاء الطبع والبصيرة النفسية (السيكولوجية) أتى بنظرات صادقة فى النفوس والحياة مثل قوله :

إذا أحرجت ذا كرم تخطَّى ... إليك ببعض أخـلاق اللئيم

واختياره كلمة اللئيم للكريم المُحْرَج ليس فيه مبالغة كما يعرف المفكر فى أخلاق الناس ، كما أنه ليس من المبالغة قوله فى البخل أو اللؤم أو ما شابه ذلك :

وتماحكوا فى البخل حتى خلته ... ديناً يدان به الإله ويُعبَدُ

عبد الرحمن شكرى

فى الأدب العربى الحديث

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

عنى الباحثون فى الآداب العربية من الإفرنج فى العصور الأخيرة باتجاهات الأدب العربى الحديث من سبل التحقيق العلمى ووسائل الدرس الفنية ؛ وسرعان ما ظهرت عناية هؤلاء الباحثين فى الدراسات والمباحث التى قاموا بنشرها فى السنين الأخيرة فى مختلف اللغات الأوربية عن الأدب العربى الحديث . وخير هذه الدراسات الفصول القيمة التى يكتبها المستشرق الألمانى الكبير « كارْل بُرُوكِلْمان » فى « ملحق تاريخ الآداب العربية » وقد صدر منها أخيراً جزآن عن الشعر المصرى فى العصر الحديث .

غير أن ساحة الآداب العربية الحديثة (رغم هذه الدراسات) لا تزال غير مطروقة فى جميع نواحيها بالبحث ، والنواحى التى طرقت منها لم تتعد دائرة رسم الاتجاهات العامة والخطوط الأساسية . لهذا كانت الحاجة ماسة لدراسات مستفيضة عن الأدب العربى الحديث من طرق التحليل العلمى وسبل التحقيق الذى درج عليه الباحثون فى تاريخ الآداب ووسائل الدرس الفنية

وتحت تأثير هذه الحاجة ومعرفتنا للغة العربية التى حصلنا عليها لظروف عائلية بين تركيا ومصر اندفعنا إلى دراسة الأدب العربى الحديث فى اتجاهاته وأعلامه فى دراسات مفصلة ، ظهرت آثارها فيما نشرناه منذ عام ١٩٣٦ فى اللغات الألمانية والروسية والتركية والإنجليزية والعربية . وكان أن رغب إلىّ بعض الزملاء من أدباء العربية أن أنشر دراساتى فى اللغة العربية لفائدة الناطقين بها من جهة ، ولإمكان استفادة كل الباحثين من المستعربين الإفرنج فى آداب العرب من جهة أخرى ، مما لا يتحقق فائدته على نفس الوجه فى الكتابة فى لغة من اللغات الإفرنجية التى يجرى قلمنا بها

وتحت تأثير رغبة هؤلاء الزملاء وتشويقهم ، لخصت جانباً من دراستى التحليلية التى كتبتها فى الألمانية عن « شاعر العراق الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى » ونشرتها بالعربية كما ترجمت بحثى عن الأستاذ الدكتور « طه حسين » ومضيت أضع دراسة عن الأديب الكبير « توفيق الحكيم » صدرت فى الشهر الفائت ثم اثنيت أدرس الأديب الشاعر « خليل مطران » وأضع دراسة مفصلة عنه ، تكفلت بنشرها متتابعة مجلة « المقتطف » شيخة المجلات العربية . وحدث أن عرضت فى الفصل الثالث من دراستى للطريقة التى استحدثها خليل مطران فى نظم الشعر ، وتناولت بالكلام العام الأثر الذى تركه مطران بمحاولته التجديدية فى جيل من الأدباء الذين نشأوا فى عصره وقلت فى معرض الكلام ما نصه :

« على أن الأثر — أعنى الأثر الذى استحدثه مطران — توضح واستبان فى العقد الثانى من قرننا هذا ؛ إذ ظهر فى مصر شاعران كبيران هما : أبو شادى وشكرى . ثم ظهر فى أواخر الحرب خليل شيبوب الذى ينفرد من بين كل المتأثرين باتجاهات مطران بأنه لا يزال إلى يومنا هذا أميناً للعناصر التى يقوم عليها مذهب الخليل فى نظم الشعر . وهو فى ذلك عكس زميليه أبى شادى وشكرى اللذين استقلا بمذهب لهما فى قول الشعر مع الزمن ، وإن كان مذهبهما يتقوم على أساس من مذهب الخليل ، فعبد الرحمن شكرى كان ذهابه لانجلترة سبباً لوقوعه تحت تأثير المذهب الطبيعى الإنجليزى ، وكان أن تغلبت عليه نزعة من التشاؤم نتيجة لعوامل تتصل بنفسه . فاستقل بمذهب فى الشعر يقوم على أساس التأمل والتفكير الخصب الذى يماشى الشعور العميق الذى يشوبه مسحة من الكآبة ... »(١)

غير أن هذه السطور رغم ما تنطق من عظيم التقدير لأدب الشاعر الجليل « عبد الرحمن شكرى » فإنها لم ترضه . فكتب فى المقتطف وفى الرسالة ، وعاود الكتابة فيها يناقش مطالعاتنا مقرراً براءة شعره من أثر مطران مبدياً التذمر من نسبتنا نزعة التشاؤم له ، محملاً رأينا أنه وقع تحت تأثير المذهب الطبيعى الانجليزى أكثر ما يحتمل !

وكان بودى أن أصحح الموقف عقب الكلمات الأولى التى كتبها الأديب الفاضل شكرى ، ولكنى لست أملك من وقتى وصحتى ما يملكه هو حتى أبادر إلى التصحيح فى حينه ، فليعذرنى لهذا وهو خير من يتفهم الأعذار

(١) المقتطف م ٩٤ ج ٣ ص ٣٠٦ — ٣٠٧

وقبل كل شيء يستحسن أن أحدد نقطة الخلاف الأساسية . فأنا أقول إن خليل مطران استحدث فى الأدب العربى أسلوباً جديداً فى النظم يقوم على أساس قول الشعر باعتبار وحدة الشعور وإطراد الخواطر وتسلسل المشاعر واتساق المعنى . وأظن أن الشاعر الفاضل عبد الرحمن شكرى لا يختلف معى فى هذه القضية. ثم إنى أقول إن مطران أثر فيمن جاءوا بعده من الشعراء ، وأقرر أن هذا التأثير بدا بصورة قوية عقب ظهور ديوانه عام ١٩٠٨ ، وهذا التأثير يعترف به على شعره الدكتور أبو شادى والدكتور ابراهيم ناجى كما يعترف بذلك الشاعر الفاضل خليل شيبوب . وهناك روايات مستفيضة ترددت نحو ثلاثين سنة فى المجلات والصحف الأدبية فى مصر وسوريا ولبنان والمهجر ناطقة بأثر مطران التوجيهى فيمن أتوا بعده من الشعراء المجددين فضلاً عن أثره فى بعض معاصريه من شعراء العربية الأعلام، وهذه الروايات تحمل فى تضاعيفها فكرة تأثر شكرى بمطران ، وهى حين تتكلم عن هذا الأثر لا تتكلم عن تأثر شكرى بأخيلة مطران وعبارته ، وإنما تتحدث عن تأثره بطريقة مطران فى النظم : وحدة فى الشعور واطراد فى الخواطر وتسلسل فى المشاعر واتساق فى المعانى ترسل بضبط وتتمشى بإحكام فى مختلف أجزاء القصيدة أو المنظومة

وإذاً يكون كل تفسير من شاعرنا الجليل يخرج الكلام عن حقيقته وإنكار للواقع لا نرضاه من أديب مثله .

هذا وأنا بصفتى مستعرباً — ويلاحظ هذا أديبنا الفضال جيداً — مهتم بدراسة الأدب العربي فى اتجاهاته وتطوراته ، ومناحيه ، وفى أعلامه ، آخذ طريقة من البحث منهجية ، أمزج فيه التحقيق بالافتراض ، والاستقراء بالتخيل ، فأتناول بعض الأشياء تناولاً حدسياً Intuitive — أو قل أولياً a priori لأن التحقيق فى كل نوع غير مستطاع. لهذا أقف فى بعض النقط من دراساتى عند مجمل الشيء دون أن أنزل إلى تفاصيله تاركاً التفصيل والتحقيق لمواقف أخرى . ومن المعروف فى الأساليب المنهجية أن طريقة الحدس فى الدرس ترجع إلى مراجعة سريعة للمبادىء والانتقال دفعة واحدة منها إلى النتائج دون وقوف طويل ولا تحقيق مستفيض فى الحلقات الوسطى . وأنا لم أخرج فى بحثى عن تأثر شكرى بمطران عن حكم هذا النهج ؛ فكل المراجع تقرر أن شكرى من المجددين كأقرانه تأثر بمطران وليس فى استطاعتى مخالفتها إلا بتحقيق ، لأن البحث عن مطران والتحقيق غير مستطاع . لهذا أخذت كلام المراجع قضية أولية فى مثل هذا الموضوع الفرعى الذى لا يمكننى أن أستقصيه إلا وأنزل لدقائقه وتفاصيله ، والبحث لا يستلزم منى كل هذا ، ولكن للتثبت من صحة هذه القضية الأولية اكتفيت أن أنتقل إلى نتائجها الأخيرة ، أتحقق من وحدة الطريقة عند مطران وشكرى ؛ ومراجعة سريعة لديوان مطران ودواوين شكرى لا تضع مجالاً للشك فى هذه الحقيقة . والفروق الممكن رؤيتها ترجع إلى الاختلاف فى الشخصية والأصل الثابت فى طبيعة كل منهما كفردين تقوّم كل منهما بشخصية أصيلة . وعند هذا الحد وقفت على أن أعود إلى الموضوع أحققه فى تفاصيله ووقائعه فيما كنت أريد أن أكتبه عن شكرى من دراسة .

على هذا الوجه تتضح المقدمات الأولية فى بحثنا التى جعلتنا نقدر تأثر شكرى بمطران . ويستبين من ذلك أنه ليس هنا لك فى فكرنا ما يتوهمه الشاعر الفاضل شكرى من تقليل من شأنه ، وأنه لم يدر بخلدنا أن ننتقص من أمره فى كلامنا ؛ وأن بحثنا مستقيم من مناهج البحث القويمة، لا ضعف فى التخرج ولا تهافت فى الرأى ولا قصور فى النظر إلى جوانب الموضوع كما راح يغمزنا ويغمز دراستنا الأديب الفاضل

***

بقيت مسألة تتفرع من فكرة تأثير مطران فى جيل من الأدباء الذين عاصروه أو جاءوا بعده . وهذه المسألة تقوم على أساس تفهم وجه التأثر ؛ فقد يكون التأثر بشعر مطران ، وقد يكون بالأثر الذى تركه مطران فى المحيط الأدبى . أما عن الوجه الأول فذلك يكون إما باحتذاء مطران فى طريقته كما هو الحال عند شيبوب، أو التأثر بالطاقة الفنية عند مطران كما هو الحال عند أبى شادى، أو التأثر بجو شعر مطران وأخيلته كما هو الحال مع إبراهيم ناجى. وهذه الحالات كلها وإن تباينت فيما بينها ، إلا أنه يجمعها شيء واحد هو التأثر المباشر بشعر مطران . أما عن الوجه الثانى فبيان ذلك فى مجاراة النسق الجديد الذى أتى به مطران ؛ نزولاً على أحكام الجو الأدبى والبيئة الفنية التى تطعمت بمحاولات الخليل

التجديدية . ومثل هذا واضح فى محاولات أحمد شوقى فى إقامة طرز جديد من الشعر فى الفترة التى جاءت عقب الحرب العظمى . ولا يعترض علينا بأن الحاجة كانت ماسة لهذه الضروب من الشعر نزولاً على أوضاع الحياة الجديدة التى دلف إليها المجتمع الشرقى . لأن روح التردد والإحجام عن استحداث مثل هذا الحدث كان يسود الجميع . فضلاً عن أن الشخصية التى تتقوّم بأوضاع الحياة الجديدة على وجهها الجديد وتماشى حاجة العصر لم تكن وجدت ، لأن الجميع كانوا تحت تأثير سريان الشعر القديم . ولا شك أن العصر من حيث أدرك نفسه فى شخص مطران الرائد الأول لحركة التجديد فى ميدان الشعر فى الأدب العربى ، حمّل الجو الأدبى لوناً وجعله يتطعم بصورة جديدة : تلك التى تطالعنا من حركة الجديد اليوم

ولا شك عندى فى أن حذق الخليل وتحايله على جمود عصره هو الذى مكن أقدام الشعر الجديد . عناية مطران بأن يكسو شعره ديباجة عربية خالصة ، واتخاذه الأغراض الاجتماعية التى تدور عليها الحياة فى عصره ، هى التى جعلت الناس تتشرب الجديد ولا ترى غضاضة فى تذوق أخيلته ومعانيه المستحدثة .
والحق يجب أن يقال إنه لولا مطران لما كان لنا أن نرى اليوم تلك المحاولات التى قام بها الشعراء المجددون من شعراء الثقافة الحديثة فى مصر

وعلى هذا لنا أن نفهم مناحى تأثير مطران فى جيل من الأدباء الذين عاصروه والذين أتوا من بعده ولحقوه . وعلينا لكى ننصف التاريخ الأدبى أن نقدر كل ذلك ، وفى ضوئه نصدر أحكامنا وندلى بمطالعاتنا عن الأدب العربى الحديث

وقد حاول الشاعر الفاضل عبد الرحمن شكرى فى مقاله بالمقتطف أن يخرج بالموضوع عن دائرته الحقيقية إلى بحث فى العوامل التى أثرت فى نفسه فقومت شخصيته على النمط الذى يظهر من مطالعة شعره . ولست براغب فى نقاشه فى المسائل التى ذكرها، لأنها من أمس الأشياء بذاته وشخصه ، والإخلاص الأدبى يضطرنا إلى تصديقه فيها . ولكن كل الذى أرغب أن أقدره هنا أنه كشف بما كتب عن العوامل التى أثرت فى نفسه فجعلته يميل لقرض الشعر ؛ إلا أنها لا تبين الأدوار التى مر بها حتى قومته على النمط الجديد الذى يظهر من مطالعة شعره فى الدواوين الأخيرة، وفى بعض الأجزاء من روايته الأولى ، ولا شك أن شاعرنا لا يعتقد أن شخصيته الأدبية وضحت واستقامت من الأدب القديم بدون أن يكون للجديد أثر عليه . فصحيح أن الأستاذ شكرى تأثر بشعراء الصنعة العباسية وبشعر العرب القديم وبشعر البارودى فى الطور الأول من حياته الأدبية ، وذلك على الوجه الذى أشار إليه فى مقاله الأخير بالمقتطف؛ على أن ما استقامت به شخصيته من نمط جديد لا أظنه ينكره ، وهذا النمط هو الذى يعنينى ويعنى كل باحث فى تصرف شاعريته

ونحن نعتقد أن فى إمكانه أن يخرج المسألة تخريجاً يوافق دعواه التى يدّعيها ، ويقول إن ما ظهر به من نمط جديد إنما يرجع لارتياضه فى دواوين الشعر الأوربى ، ولكن لكى نصحح هذه القضية يجب على شاعرنا أن يثبت عدم تأثره بمطران فى الوجهين المباشر وغير المباشر . وهو يستطيع أن يزعم أنه لم يقرأ مطران وأنه لم يتأثره ؛ ولكن لا أظن أن فى إمكانه أن ينفى عن نفسه تأثره بالجو الذى استحدثه الخليل فى الحياة الأدبية

فى إمكان شاعرنا الفاضل أن ينفى بصيغة البات ، ولكنه لا يقنع بذلك أحداً من الذين تقومت لهم شخصية فى دراسات التاريخ الأدبى

وأظن أننى بهذا المقال أوضحت الموقف وأجليت الفكرة دون نكران للواقع أو انتقاص لمكانة شاعرنا الجليل عبد الرحمن شكرى فى عالم الأدب الحديث . وليطمئن الأستاذ فإنى فى طليعة المعجبين بشعره والعناصر الأدبية والفنية الطيبة التى يتميز بها شعره ، وعبارتى فى المقتطف عنه ناطقة بهذا الإعجاب : « شعر يقوم على أساس التأمل العميق والتفكير الخصب الذى يماشى الشعور العميق » . أما حديث التفاؤل والتشاؤم فله مقال آخر

(أبو قير) **اسماعيل أحمد أدهم**

المدرســـة الابتدائية

وتعليم اللغة الأجنبية

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

ورد في تقرير اللجنة التي شكلت بوزارة المعارف برياسة سعادة الوكيل المساعد لدراسة هذا الموضوع ما يأتي :

« تكاد تجمع نظم التعليم بالبلاد الأجنبية على أن ليس من المصلحة أن يبدأ الطفل تعلم لغة أجنبية قبل أن يلم إلماماً كافياً بلغته القومية وقبل أن تتسع مداركه لاستيعاب تلك اللغة الأجنبية

ويرجع هذا الإجماع إلى أن المسئولين عن تربية الطفل يرون أن في التبكير بتعليمه لغة أجنبية إرهاقاً له وإضعافاً للغته الأصلية، وأن تعليمه اللغتين في وقت واحد يؤدي إلى عدم تمكنه من إحداهما. وهذا إن وافق دولة ما فالأحرى به أن يكون أكثر موافقة لمصر التي يختلف فيها تعلم اللغة الأصلية عن غيرها من الدول، وذلك لأن لغة الكتابة هنا غير لغة الكلام مما يجعل العبء أثقل على كاهل التلميذ المصري »

وورد في تقرير المستر مان الخبير الفني الذي رفعه إلى وزارة المعارف منذ أكثر من عشر سنوات بصفحة ٩٤ ما يأتي :

« إن العبء الثقيل الذي تضعه هذه الحالة اللغوية الغريبة على كاهل الصبي المصري تتجلى لنا شدة وطأته بوجه خاص إذا راعينا ما بين نشوء الفكر في الذهن والتعبير عنه بالكلام من الاتصال الوثيق ، لأن من الصعب كما لا يخفى إدراك ما إذا كان في الإمكان أن يوجد أحد هذين الأمرين مستقلاً عن الآخر . وعلى أية حال فإن من المؤكد أن توقيف تيار الفكر في الصبي بتكليفه التعبير عنه بوساطة لغة أجنبية لا بد من أن يعوق نمو ملكة التفكير فيه . وهناك ما يجعلني أعتقد أن الوسط الذي تنشر فيه لغتان من شأنه أن يؤخر نمو القوى المدركة في الأفراد الذين يعيشون فيها حتى ولو كانت هاتان اللغتان حيتين وشائعتي الاستعمال ، وعلى ذلك فإن بيئة الصبي المصري الدراسية التي تتغالب فيها لغتان إحداهما ميتة لا بد من أن يكون أكثر تعويقاً لنمو مداركه من الوسط آنف الذكر . فبدلاً من أن تكون المراحل الأولى من تعليمه أطوار نمو طبيعية يكاد لا يشعر بها فإنه يراها شاقة إذ أنه لا يقضيها أحياناً إلا في الكدح في تحصيل قواعد كلامية »

وقال هنري سويت في كتابه : « دراسة اللغات العملية » ما يأتي :

« بما أن اللغات ليست عقلية إلا في بعض عناصرها فإن تحصيلها لا بد أن يكون إلى حد كبير بطريقة آلية ، والدراسة الآلية لا تحتاج إلى عقل مبتكر ولا إلى ملكة ممحصة ناقدة »

ومنذ سنوات طويلة نبهنا الخبيران الفنيان : مان وكلاباريد إلى النقص المخيف في تكوين شبابنا وتنمية عقولهم في نواح متعددة أهمها في ملكات الابتكار والنقد والتفكير . وجاء في هذا العام مكتب تخديم الشبان بوزارة المالية فأثبت لنا ذلك النقص عن طريق الشركات التجارية والصناعية التي أقدمت على استخدام بعضهم فظهر لها عجزهم في كثير من الأمور . ولست أشك لحظة في أن سبباً هاماً من أسباب هذا النقص يرجع إلى دراسة اللغات الآلية التي نركز فيها همنا وهم الطفل منذ أول اتصاله بالمدرسة من غير أن نفسح مجالاً ما لظهور تلك الملكات الضرورية وإنمائها ! ويكفي أن ندلل على ذلك بأن الطفل بمجرد التحاقه بالمدرسة الابتدائية يصطدم بتخصيص ٢١ درساً من ٣٨ درساً أسبوعيًّا لدراسة اللغتين العربية والإنجليزية أي بمعدل ٤٦ في المائة تقريباً من وقته الدراسي ، وهذا الوقت موزع بمعدل ٩ دروس للغة الانجليزية و ١٢ للغة العربية ؛ أي بنسبة ٢٤ في المائة للغة الانجليزية و ٣٢ في المائة للغة العربية . فأين تجد المدرسة وقتاً (بعد صرف هذا الوقت كله) للبحث عن ملكات التلميذ الضرورية وتشجيعها وإنمائها والعمل على تكوينه التكوين الصحيح اللائم؟

فإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية إذن يرفع عن كاهل الطفل المصري المبتدىء في التعلم عبئاً ثقيلاً ينوء به ، شهد بوجوده العلماء والخبراء وأحس بثقله الكثيرون من رجال التربية والتعليم في مصر ، وأقرت بقيامه اللجنة الرسمية التي درست هذا الموضوع . وإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية يمكن المدرسة من إصلاح حالها في مواطن متعددة لأنه يعطيها فرصة

واسعة للعمل مع زيادة تثقيف أبنائها في شتى النواحي القومية والخلقية، كما أنه يساعدها على اتباع أصول التربية وقواعدها المهملة إلى اليوم بين جدرانها. إذ المدرسة في جميع بلاد العالم لا تقف عند واجب التعليم فقط كما هو الحال عندنا، ولكنها تتعدى ذلك إلى أمور تتصل بحياة الطفل وبمستقبله اتصالاً وثيقاً وتؤثر في نفسيته وتكوينه تأثيراً عميقاً يجعل المدرسة الحديثة تنكر نفسها إذا هي أهملتها أو أنقصت من أهميتها. فلقد أصبحت دراسة ميول كل تلميذ على حدة وتوجيهه وتشجيع مختلف الملكات فيه بمجرد ظهورها والعمل الدائم على إنمائها — أموراً لا يمكن للمدرسة الحديثة أن تحيا بغيرها! والمدرسة المصرية الحالية مع الأسف العميق لا تعنى بشيء منها! ولا يمكن أن تعنى بشيء منها مادام ٥٦ في المائة من وقتها ضائعاً في الدراسة النظرية استعداداً للامتحانات!

هذا ولا يذهبن الظن ببعضنا إلى أن إلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية يضعف حالة هذه اللغة في المدارس الثانوية أو يقلل من أهميتها، فالأدلة المحسوسة كثيرة على أن هذا العمل يرفع من قيمة هذه اللغة ويقوي مركزها في التعليم الثانوي والمتوسط التجاري بصفة خاصة ويجعل الاهتمام بها أكبر وأعظم لأن التلميذ الذي انتهى من التعليم الابتدائي حيث تكون تكويناً ملائماً يأتي إلى المرحلة التالية مليئاً بالحيوية والنشاط متجهاً اتجاهاً جديداً تدفعه جدته إلى الحماس في الأخذ به. ثم إن القوة في دراسة لغة من اللغات لا تتوقف فقط على طول المدة التي يقضيها الطالب في دراستها لأن هذه المدة عامل ثانوي بجانب الطريقة نفسها التي تتبع في تدريسها وبجانب حماس المعلم وقدرته. وهي أمور إذا أحسنت واستكملت أسبابها دفعت بالطالب دفعاً إلى الاطلاع والقراءة وهي الغاية القصوى التي يجب أن يسعى إليها المعلم والمدرسة معاً. ولا نستدل على ذلك بأكثر مما نراه رأى العين في مدارسنا اليوم إذ نرى مستوى طلاب البكالوريا في اللغة الفرنسية لا يقل كثيراً عن مستواهم في اللغة الإنجليزية بل قد يزيد أحياناً مع أنهم أنفقوا طوال أربع سنوات بالمدارس الابتدائية في دراسة اللغة الإنجليزية من غير أن يدرسوا كلمة واحدة في اللغة الفرنسية، ثم أخذوا يدرسون اللغة الإنجليزية طوال مدة التعليم الثانوي بمعدل تسعة أو ثمانية دروس في الأسبوع في نفس الوقت الذي لا يدرسون اللغة الفرنسية إلا بمعدل أربعة دروس في الأسبوع فقط في مرحلة التعليم الثانوي وحدها، فماذا يقول أنصار إعطاء مدد طويلة لتعليم اللغات بعد هذا الدليل المادي القوي؟ فإذا رجعنا ببصرنا بعد ذلك إلى الماضي وجدنا عجباً، وجدنا أن معظم وزرائنا ومستشارينا وقضاتنا الذين تعلموا على النظام القديم ولم يدرسوا اللغة الفرنسية إلا في السنتين الأخيرتين من التعليم الثانوي استطاعوا بعدهما أن يدرسوا مواد العلوم المختلفة في مدرسة الحقوق باللغة الفرنسية وأن ينبغ الكثيرون منهم فيها

فهل يصح بعد كل هذا أن نخشى على اللغة الإنجليزية إذا نحن أخرنا البدء بدراستها إلى ما بعد مرحلة التعليم الابتدائي؟ لا شك في أنه لا خوف عليها مطلقاً إذا ألغيناها من التعليم الابتدائي كما إنه لا خوف على اللغة الفرنسية إذا أجلنا البدء بتعلمها إلى ما بعد سنتين من مرحلة التعليم الثانوي

وفوق هذا وذاك فإنا نعلم أن الطريقة المتبعة في تعليم اللغة الإنجليزية بالمدرسة الابتدائية الآن هي نفس الطريقة المتبعة في تعليمها بالمدرسة الثانوية وهي طريقة West ولم يقف الأمر عند ذلك بل نجد أن الكتب التي يدرسها التلميذ في المدرسة الابتدائية يعيد دراستها هي نفسها في المراحل الأولى من المدرسة الثانوية، وفي هذا اعتراف رسمي عملي بعدم أهمية دراسة اللغة الإنجليزية بالمرحلة الأولى وبأن الطالب إنما يبدأ بتعلمها فعلاً بمرحلة التعليم الثانوي

أما ما نستفيده عملياً من تعليم اللغة الأجنبية في المدرسة الابتدائية فيتبين بصحيفة ٢٣٨، من مؤلفي « التعليم والمتعطلون في مصر » إذ قد ورد فيه « أما النتيجة العملية التي يستفيدها الطلاب، وتستفيدها البلاد من تعليم اللغة الإنجليزية في المدارس الابتدائية فتتبين من الإحصائية التي تتنقل بناجحي الشهادة الابتدائية إلى البكالوريا حيث ينتظر أن يفيدوا أو يستفيدوا من تعلم اللغة الأجنبية. وهنا أوردنا إحصائية يتبين منها النسبة المئوية لناجحي البكالوريا إلى ناجحي الابتدائية في عدة سنين تقع بين ١٧ و٢٦ في المائة. ثم قلنا: « فإذا علمنا أن نحو ثلثي الناجحين في الابتدائية يقفون عند هذا الحد من التعليم وأن ناجحي البكالوريا

على هامش الفلسفة

طريقة الأخلاق أيضاً

للأستاذ محمد يوسف موسى

رأينا عدم غناء الطريقة الاستنتاجية فى الوصول إلى مُثل عليا مرضية من الجميع؛ وهذا ما دفع فريقاً من الفلاسفة للتوجه وجهة أخرى فى تعرف الخير والشر والحسن والقبيح؛ هذه الوجهة هى الحاسة الأخلاقية أو الملهمة، حاسة المعرفة المباشرة التى لا تحتاج لنظر واستدلال، بل يكفى أن نلجأ إليها لتهدينا سواء السبيل

هذه رسالة كل فلاسفة أخلاق العاطفة تقريباً كرجال المدرسة الإنجليزية والأيكوسية فى القرن الثامن عشر أمثال: شافتِسبِرى [١]، وهَتْشسون [٢]، وآدم سْميث [٣]. ثم جان جاك روسو الفيلسوف والكاتب الفرنسى المعروف، وشارل جُوسْتَاف جاكُوبِى العالم الرياضى الألمانى الذى عاش فى القرن التاسع عشر

« هتشسون » مثلاً يرى أن هذه الحاسة تميز الخير من الشر كما تميز العين الألوان، وتجعل المرء يحس مسرات وآلاماً معنوية خاصة هى نتيجة ما يعمل من خير وشر. و « روسّو » يرى فيها، وبعبارة أخرى يرى فى الضمير لأنهما اسمان لمسمى واحد، القوة التى تلهمنا القانون الأخلاق. تراه يناجيه مناجاة خالدة يقول فيها: « أيها الضمير، أيتها القوة الفطرية الخالدة، أيها الصوت السماوى، أيها القائد الأمين للانسان الجاهل المحدود – وإن كان ذكيًّا – حراً فى إرادته، أيها القاضى الذى لا يضل فى تمييز الخير من الشر... إنه أنت أشرف جزء فى طبيعته، وإنك الفضيلة من أعماله. بدونك لا أشعر بما يرفعنى عن الحيوانات ما عدا الميزة التى تجعلنى أضل فى ميدان الأخطاء، وهى أداة الفهم التى لا قاعدة لها، والعقل بدون مبادئ يسير عليها » [٤]. أما « جاكوبى » فيقول: « ما هو الخير؟ كل امرئ يملك فى قلبه إلهاماً مباشراً به وقوة إلهامية تبينه له » [٥]

هذا الفهم؛ هذه الطريقة فى تعرف القانون الأخلاق يستحق ما وجِّه له من نقد شديد من كبار المفكرين وخاصة الأستاذ العلامة « ليفى بْرهُل Lévy Bruhl » فى مؤلفه القيم « الأخلاق وعلم العادات » حين يقول: « هذا المذهب يفترض أن الطبيعة الإنسانية هى واحدة فى نفسها لا يعتورها التغير فى جميع الأزمان والبيئات، وأن محتوى الضمير الأخلاق يكون مجموعاً منسجماً منظماً، ولكنا علمنا سابقاً كيف كان اختلاف الأفكار الأخلاقية شديداً حسب العصور المتعاقبة، وكيف اختلفت وتختلف

(١) فيلسوف انجليزى فى الأخلاق (١٦٧١ – ١٧١٣) كان يرى أن الخير فى توازن غريزتى حب النفس والغير

(٢) من العلماء الانجليز فى الأخلاق واللاهوت (١٦٩٤ – ١٧٤٦)

(٣) أحد علماء الاقتصاد الأيكوسيين (١٧٢٣ – ١٧٩٠)

(٤) P. Janet: Eléments de philosophie scien. et phi. Morale.

(٥) Challaiy : La philosophie scien. et phi. morale.

لا يتمكنون جميعاً من الالتحاق بالجامعة، وأن الكثيرين منهم يرسبون بعد ذلك خلال مرحلة التعليم الجامعى، وإذا علمنا أن الطالب كان يتعلم اللغة الإنجليزية إما للوصول إلى التعليم العالى أو التفاهم بها مع الموظفين الانجليز المديدين الذين كانوا يملأون دواوين الحكومة عند توظفه. وقد زال هذا السبب الآن واقتصر فى تعلم اللغة على الغرض الأول وهو البحث العلمى والاتصال بالآراء الحديثة، عرفنا مقدار التضحيات الجسام التى تضحى بها مصر الآن من مجهودات أبنائها ومن أموالها علاوة على إرهاق الطلبة فى سبيل توصيل عدد ضئيل من أولئك الأبناء إلى التعليم الجامعى للانتفاع بتلك اللغة »

بعد هذا كله لا نرى أمامنا غير طريق واحد للسير بالتعليم قدماً نحو الديمقراطية الحقة ونحو النظم التعليمية والاجتماعية السليمة ونحو مصلحة مصر وشعبها وذلك بإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية إلغاء تاماً وإدماجها مع غيرها من مدارس الأطفال فى مدارس شعبية موحدة

عبد الحميد فهمى مطر

أيضاً الآراء الأخلاقية باختلاف الأمم والشعوب(١) كيف كان من الممكن إذاً — لو أن هذا المذهب صحيح — أن توحى هذه الحاسة التى لا تضل كما يقولون هذه المبادئ المختلفة أشد الاختلاف بل المتناقضة فى بعض الحالات ؛ ثم إننا نحس أحياناً كثيرة تنازعاً وخصومة مؤلمة حادة فى ضمائرنا حتى ليكون أسهل على المرء أن يعمل واجبه متى تبين له من أن يعرفه بوساطة هذه الحاسة

إنه من المستحيل أن يحدّ المرء نفسه بكتابة الأخلاق تحت إملاء الضمير ، وإذاً فلننتقل إلى بحث الطريقة الأخيرة لمعرفة المثل الأعلى الأخلاق ، وهى طريقة الاستقراء ، علّنا نصل إلى تحديده على نحو مقنع مرض للجميع

يرى فلاسفة مذهب اللذة الشخصية أمثال « أرِستيب Aristippe » السيريني و « أبيقور Epicure » اللذين عاشا فى القرن الرابع قبل الميلاد ، أن الناس جميعاً يتطلبون اللذة فى كل ما يعملون كما يفرون من الألم دائماً ، على اختلاف بينهم فيما يعنون باللذة وفى تطبيق هذه القاعدة التى هداهم إليها استقراء ما فطر عليه الناس من طباع . كذلك ترى بعض فلاسفة الأخلاق المحدثين يصدرون عن هذا المذهب. هاهو ذا « جرى بنتام » الفيلسوف الانجليزى المعروف فى القرن الثامن عشر يؤكد بعد استقراء طويل أن جميع الناس تبعثهم المنفعة أو السعادة على أعمالهم حتى فى الحالة التى يضحون فيها ببعض المنافع أو يقبلون شيئاً من الآلام ، لأن ذلك معناه تطلب منفعة أكبر وأفضل . إلا أنه يضيف إلى هذا تأكيداً آخر هو أن اللذة تكبر وتتسع حتى تشمل أكبر عـدد ممكن من الناس، وأن سعادة كل امرئ لا تنفصل عن سعادة الجميع . من أجل هذا يجب على الإنسان باسم سعادته أو منفعته الخاصة أن يبحث فى أعماله عن « أكبر مقدار من السعادة لأكبر عدد ممكن » . وفى القرن التاسع عشر نجد « ستيوارت ميل » يبدأ بحثه بأن جميع الناس يبحثون عن السعادة ، فيرى لهذا أن تكون الغاية الإنسانية والمثل الأعلى الأخلاق هى « السعادة النبيلة التى تأتى من اللذائذ العالية ، مثل لذة التضحية فى سبيل إسعاد الغير والإنسانية »

حقاً هـذا كله مقنع مرض فى نتائجه إلى حدّ ما ، وحقائق نفسية لاشك فيها . ولـكن بأى طريق وصلوا إليها ؟ ها نحن أولاء نقبل مؤقتاً فكرة أن جميع الناس يبحثون ويجرون وراء لذاتهم أو منافعهم أو سعاداتهم ، غير أننا إن وقفنا عند هذا التحقق الاستقرائى بقينا دون مستوى الأخلاق التى تبحث فيما يجب أن يكون لا فيما هو كائن بالفعل . وإن أردنا من المرء أن يوازن ويختار بين هذه اللذائذ الخاصة أو العامة أو بين هذه الوسائل والأعمال التى تؤدى إليها ، تدخل حقيقة فى مملكة الأخلاق ولـكن فى الحين نفسه تترك مملـكة التجارب والاستقراء !

فضلاً عن هذا فأخلاق المنفعة العامة تصطدم بهذا الاعتراض الذى لا محيص منه وهو أننا فى عديد من الحالات نجد تعارضاً بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة ؛ منفعتى أن يقتتل الناس للدفاع عن حقوق ووطنى وألا أخاطر بنفسى بالدفاع عنهم ، وصالحى الخاص أن يكون مال الغير على حبل الذراع حتى أنتفع به كما أريد، وأن أقبض يدى وأحفظ مالى فلا أساعد به سواى . وإذاً فى مثل هذه المنازعات بين المنفعتين أرى أن أخلاق « ميل » التى تدعو للايثار تدعو إلى جعل منفعتى تابعة للمصلحة العامة ولتضحية تلك فى سبيل هذه متى تطلب الأمر التضحية . ولـكن كيف يمكن قبول هذه التضحية أى تضحية المنفعة الخاصة فى سبيل العامة مع ما سبق أن قرروه من أن جميع الناس يجرون وراء لذاتهم ومنافعهم الخاصة ؛ أليس من التحايل المفضوح أن نضع تحت عنوان أخلاق المنفعة الخاصة أخلاقاً هى الإيثار الصريح ؟

إن من التعسف بل من المستحيل أن نأخذ من التأكيد الذى سبق تقريره وهو أن الناس يبحثون وراء لذاتهم أو سعاداتهم أنهم يجب أن يختاروا بين مختلف هذه اللذائذ والسعادات وأن يضحوا باللذات الدون التى مرجعها إرضاء عاطفة الأثرة فى سبيل الحصول على لذة من نوع أسمى وأعلى يحسها المرء من التضحية فى سبيل سعادة الآخرين ! ذلك التأكيد الاستقرائى وهذا الاختيار الواجب أخلاقياً طرفان لا يلتقيان على رأى « باسكال »

وأخيراً فـكل المذاهب الأخلاقية التى تدخل فيها تجارب الحياة واستقراء ما فيها من البواعث والغايات تتحطم أمام هذه

(١) يرجع إلى العدد ٢٩١ من الرسالة

الحقيقة، وهي أن الاستقراء يعرفنا ما كان، بينما تقول لنا الأخلاق ما يجب أن يكون .

هناك بعض الاجتماعيين الأقرب عهداً من سابقيهم عرضوا ضرباً آخر من الأخلاق الاستقرائية ، هو أن الأخلاق ترجع أولاً إلى علم العادات الذى مرجعه استقراء التاريخ وملاحظة الحاضر ، يتداخل فيها فن عقلى ينظر فى الظواهر الاجتماعية والأخلاقية لتعديل ما يجب تعديله منها . هذا هو المذهب الذى عرضه الأستاذ البحاثة « ليفى برهل » فى كتابه الآنف الذكر : « الأخلاق وعلم العادات » . الأخلاق أعنى مجموع الواجبات التى تفرض على الضمير ، لا تستند إلى مبادىء نظرية قامت عليها . إنها عمل ، إنها حقيقة ؛ عمل اجتماعى ، وحقيقة اجتماعية كذلك . « إننا لا نعمل أخلاق شعب أو أخلاق تمدن لأنها عملت سابقاً »

إنه بلا شك قد يحصل أن يعارض المرء الحقيقة الأخلاقية بمثل أخلاقى أعلى وصل إليه بالنظر . ولكن هذا البحاثة يجيب عن هذا بقوله : « فى الواقع ليس هذا المثل إلا ظهوراً فى غير آنه مع بعض التغيير لحقيقة اجتماعية فى ماض بعيد أو مستقبل ليس أقل منه بعداً ؛ وهذا يكون بالدقة بعض الشىء من هذه الحقيقة التى يجعلونه معارضاً لها » .

هذا ملخص ما يراه هذا العالم .

فما الرأى فيه ؟ موعدنا فى بيان ذلك الكلمة الآتية وهى تمام هذه البحوث إن شاء الله تعالى .

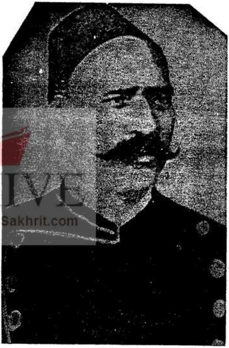
محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولندع الآن عرابياً فى رأس الوادى ولننظر ماذا كان من أمر شريف ووزارة شريف . وهنا أبادر إلى القول إن هذه المرحلة من تاريخ مصر كانت أهم المراحل الماضية جميعاً منذ الحملة الفرنسية وأدقها وأبعدها أثراً فيما هى مقبلة عليه بعدها من مراحل

ظن الناس أن قد انجلت الغاشية على نحو ما صور المستر بلنت ولكنهم لم يكونوا يعلمون أو لم يكن يعلم إلا الأقلون منهم أن وراء هذا الصفو كدراً ، وأن سماء السياسة كانت يومئذ كسماء الطبيعة صفت هنيهة لتتلبد بعدها بالسحب المركومة ، ولتتلاقى فى جوانبها غرابيب سود من الغربان الناعبة فتكون حلكتها وطيوفها بعد هذا الصفو أقبح ما تكون منظراً وأشد ما تكون إيلاماً للنفوس وإزعاجاً للخواطر

وكيف كان يرجى دوام الصفاء وقد كانت الشباك منصوبة وقد أخذ الصائدون يدفعون الفريسة إليها دفعاً بعد أن أعياهم الأمر فلم يستطيعوا أن يأخذوها بالحيلة أو أن يعصبوا عينيها كما كانوا من قبل يفعلون ؟

كيف كان يرجى الصفاء وقد كان الخديو يضمر عكس ما يظهر كأن لم يكفه ما أصاب البلاد من جراء سياسته وتنكره للحركة الوطنية وإيجاده بما فعل الثغرة التى كان ينفذ منها الدخلاء والمتربصون بمصر إلى صميم حركتها وقلب نهضتها ؟

وما أشبه توفيقاً فى ذلك الموقف ، بل وفى معظم مواقفه كما أسلفنا بلويس السادس عشر ، ذلك الملك الطيب القلب الذى كان يدفع الثورة فى بلاده بمسلكه دفعاً ، والذى يعزى إلى سياسته الملتوية المذبذبة أن تنكبت تلك الثورة منهاجها السلمى العاقل واندفعت فى طريق جرت فيها الدماء وتطايرت على جانبيها الأشلاء

ظهر ذلك الملك للنواب أول الأمر فى جلد الأسد ، ثم استخذى بعدوثبة ميرابو ، ولكن الشائعات طافت بأهل باريس أن الملك أخذ يستمد ويجمع حوله الجند ، فما لبثت أن جرت الدماء فى باريس ودك الناس الباستيل رمز العبودية والجبروت ؛ ثم رأى أهل باريس بين الدهشة من الملك والزراية عليه والتهزىء به أنه يركب فى جماعة من النواب كان فى مقدمتهم ميرابو فيزور باريس ويطوف بأنحائها ويمر بخرائب الباستيل مظهراً عطفه على الثورة والثوار ، ولكنه يعود بعد ذلك فيأتى من معانى التحدى والنزق ما يجعل الشعب يذهب فيقتحم عليه غرف قصره فى فرساى ويعود به إلى باريس ليكون رهينة فيها ، ويتم الدستور فيرفع إليه فيوافق عليه ولكن ريثما يعد العدة للهرب ، ثم يضبط المسكين وقد أوشك أن يجتاز الحدود فيقضى هذا العمل عليه وتمضى الثورة فى طريقها مجنونة لا تلوى على شىء حتى تأكل آخر الأمر نفسها

ولقد كان توفيق يسلك تجاه الثورة العرابية مسلك لويس تجاه الثورة الفرنسية مع فارق واحد وهو أن الخديو ، كان من ورائه الإنجليز فلما لجأ إليهم توفيق كما هرب لويس لم يقض هذا العمل عليه وإنما قضى على البلاد

تخلص توفيق من رياض وقد كان يسعى إلى التخلص منه ،

فكيف أراد أن يسلك شريف مسلك رياض ولقد كان الفرق بين الرجلين هو الفرق بين الاستبداد والديمقراطية ؟

لقد عادت الظروف من جديد تبين للخديو بأجلى وضوح أن الطريق الوحيـد هى الانضمام إلى الحركة الوطنية ومشايعتها فى صدق وإخلاص ، ففى ذلك منجاته من تطرف هذه الحركة وجموحها ، وفى ذلك منجاة البلاد من تدخل الأجانب باسم المحافظة على عرش الخديو ، ثم من احتلال البلاد باسم القضاء على الفتن والقلاقل

ولكن الخديو تنكب هذه الطريق فدفع تيار الثورة بمسلكه هذا كما كان لويس يدفع تيار الثورة فى بلاده . ولقد رأينا كيف آنس الثوار فى أنفسهم القوة منذ انضم العساكر إلى الحركة ، وكيف فهم الزعماء أنهم حصلوا على ما حصلوا عليه عن طريق الارهاب والقوة، بعد أن عجزوا عن ذلك عن طريق المسالمة والرجاء

ومن عجيب الأمور أنه لما انتهت الثورة إلى ما انتهت إليه حمل زعماؤها كل أوزارها وخرج عرابى المسكين بالنصيب الأوفى من هذه الأوزار ؛ مع أن الحوادث تثبت عكس ذلك ، وهى لو درست على حقيقتها وردت فيها الأمور إلى أصولها لرد ما يعزى إلى عرابى أو أكثره إلى الخديو دون أن يكون فى ذلك أقل تجن على هذا ولا أدنى تحيز لذاك

سار شريف على نهج حكيم فأرضى الأجانب بقبوله المراقبة الثنائية، وأرضى الوطنيين بتحقيق الآمال الوطنية، ولكنه ما لبث أن أحس أن هؤلاء الأجانب لا يدعون وسيلة لضم الخديو إليهم حتى لقد ترك شريف بعد مدة وجيزة يعمل وحده ، وكأنما وضع الخديو نفسه بنفسه فى عزلة

ولو أنها كانت عزلة عن الوطنيين دون اتصال بالأجانب وعلى الأخص بالإنجليز لهان أمرها ؛ ولكن توفيقاً قد سبب بعزلته أول الأمر ريبة ومخاوف فى قلوب العسكريين ؛ ثم تطورت الحال إلى كراهة وأدت الكراهة إلى المقاومة من جديد . ولقد كان أمام توفيق فى الواقع هيئتان : الوطنيون برياسة شريف ، والعسكريون بزعامة عرابى . وكان يستطيع بشىء من الكياسة والمهارة أن يرضى الوطنيين حتى لا يدع مجالاً لتدخل العسكريين من جديد، ولقد رأى بنفسه ما كان من أمر هذا التدخل بالأمس القريب

افتتح مجلس شورى النواب فى يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ وجاء فى خطاب توفيق فى حفلة الافتتاح ما يأتى : « أبدى لحضرات النواب مسروريتى من اجتماعهم لأجل أن ينوبوا عن الأهالى فى الأمور العائدة عليهم بالنفع ، وفى علم الجميع أنى من وقت ما استلمت زمام الحكومة عزمت بنية خالصة على فتح مجلس النواب ولكن تأخر للآن بسبب المشكلات التى كانت محيطة بالحكومة ، فأما الآن فنحمد الله تعالى على ما يسر لنا من دفع المشكلات المالية بمساعدة الدول المتحابة ومن تخفيف أحمال الأهالى على قدر الإمكان، فلم يبق مانع من المبادرة إلى ما أنا متشوق لحصوله وهو مجلس النواب الذى أنا فاتحه فى هذا اليوم باجتماعكم »

هذا هو كلام الخديو فهل كانت هذه نياته ؟ تلك هى المسألة ونرى أن خير ما نجيب به هو أن نعرض الحوادث التى تلت ذلك ومنها يستبين إلى أى حد كان الخديو ينوى ما يقول

دأب الذين كانوا يعملون من وراء ستار على تخويف الخديو من ناحيتين : ناحية الحركة الوطنية وناحية تركيا موحين إليه فى الأولى أن حكم الدستور معناه ضياع سلطة الخديو، وفى الثانية أن تركيا لا ترتاح إلى توفيق وأنها تبيت له ما لا يحب . وغرض هؤلاء الذين كانوا يعملون فى الظلام واضح وهو أن يركن الخديو إليهم ليخلص من هذا كله

أما عن حكم الدستور فكان ذلك يقتضى حقاً أن يتنازل الخديو عن جانب كبير من السلطان المطلق إلى نواب البلاد وتلك هى المشكلة، وما كانت مشكلة فى مصر وحدها ، بل لقد كان لها مثيلات فى جميع الحركات الدستورية التى شهدها العالم ، فما قام الخلاف بين الملكية والشعب فى فرنسا إبان ثورتها إلا من هذه الناحية. وما استمرت القلاقل قروناً بين الملكية والشعب فى إنجلترة إلا بسبب ذلك . وما استقرت الأمور فى الدولتين إلا حينما أثبت الشعبان قوتهما . وإذاً فكان لابد أن يتفاقم الخلاف بين الشعب والخديو فى مصر حتى يثبت الشعب قوته أو يتنازل الخديو عن مبدأ الحكم المطلق ، ومن هذا الخلاف كانت تتاح الفرص للأجانب ليسيطروا على الخديو

وأما عن تركيا فقد كان توفيق يستريب ويخاف من سياستها . فكر السلطان أولاً أن يرسل جيش احتلال إلى مصر ليعيد فيها نفوذ الخلافة سيرته الأولى قبل عهد محمد على ؛ ولكن انجلترة وفرنسا ما زالتا به حتى استطاعتا بالسياسة حيناً وبالتهديد من بعد حيناً آخر حتى أقلع عن هذه الفكرة. ولقد أفادتا من ذلك فائدتين: بقاء مركز مصر على ما هو عليه بحيث يسمح لهما بالتدخل فى شؤونها ؛ والتأثير على الخديو بهذا أنهما هما الملاذ والسند

ولقد كان الأمير عبد الحليم بن محمد على فى الآستانة يدس الدسائس ويسعى سعياً متواصلاً لخلع توفيق وتولى حكم مصر بدلاً منه ، وكانت سيرة ذلك النشاط تزعج توفيقاً وتقلق مضجعه

وأخيراً أوفد السلطان وفداً إلى مصر برياسة على نظامي باشا ، وقد فعل السلطان ذلك دون علم الدول الأوربية ، ولم تعلم بذلك حتى الحكومة المصرية نفسها إلا عند ما وصل الوفد .

وكان عرابي قد كتب إلى السلطان قبل يوم عابدين كما أشرنا. ولعل السلطان أوجس خيفة من الحركة القائمة في مصر ، وظن أنها تنطوي على عناصر استقلالية ترمى إلى خلع سيادة الأتراك . وقد كان عبد الحميد يومئذ يقاوم الحركات الحرة في بلاده ويبطش بالداعين إليها. ولكن الوفد كتب تقريراً عن الحال في مصر جاء فيه على لسان الخديو أن البلاد هادئة ليس فيها ما يخيف. وجاء على لسان رئيس الوفد أن رجال العسكرية والزعماء جميعاً يؤكدون ولاءهم للسلطان، وإنه لذلك يثنى عليهم ولا يخالجه شك في حركتهم . ولقد قامت الدولتان بمظاهرة بحرية في مياه الأسكندرية؛ فلما سألتهما الحكومة المصرية عن سبب ذلك أجابتا أن سفنهما تغادر الأسكندرية في اليوم الذي يسافر فيه الوفد العثماني عائداً إلى الآستانة ؛ وقد تم ذلك فعلاً حينما غادر الوفد البلاد ، ومعنى ذلك أن الحكومتين لن تسمحا للسلطان صاحب الحق الشرعي في البلاد حتى بمجرد النظر في أحوالها ، ومعنى ذلك أيضاً أن يزداد تأثيرهما في قلب الخديو فيلجأ إليهما إذا لزم الحال حتى ضد السلطان نفسه !

ورب قائل يقول إن في مسلك تركيا ودسائس عبد الحليم ما يدع للخديو العذر في الاعتماد على الدولتين ، ولكن هذا زعم باطل ؛ فرجال مصر جميعاً لم يكونوا في تلك الأيام يفكرون مطلقاً في الخروج عن سيادة تركيا، كما أنهم كانوا لا يسمحون للسلطان أن يزيد حقوقه في مصر عن القدر المقرر في الفرمانات . ولنفرض جدلاً أن للخديو الحق في أن يخاف جانب السلطان أفلا يكون بالتجائه إلى الدولتين كالمستجير من الرمضاء بالنار ، كما يقول المثل العربي ؟ وهل كانت الدولتان تحميانه إلا لغرض ؟ وهل كان هذا الغرض إلا رغبة كل منهما أن تحل في مصر محل السلطان ؟

إن الحوادث كلها كانت تشير للخديو إلى الطريق الوحيدة التي كان عليه أن يسلكها ، ولكنه كما ذكرنا اختار الانحياز إلى جانب انجلترة منذ حادث عابدين مع تظاهره دائماً أنه يعطف على أماني البلاد ، وفي ذلك الخطر كل الخطر وفيه من أجل ذلك مسؤولية الخديو عن اتجاه الحوادث بعد ذلك إلى تلك السبيل التي أفضت بالبلاد إلى كارثة الاحتلال

ونعود إلى عرابي فنقول : إن الحكومة قد استدعته من مقره في رأس الوادي وأسندت إليه منصب وكيل وزارة الحربية ؛ وهو يعزو هذا العمل إلى ما بلغ الحكومة على لسان جواسيسها أنه يجول في بلاد مديرية الشرقية فيتصل بالوجوه ومشايخ العرب محرضاً داعياً إلى نشر مبادئه وأغراضه . ويذكر عرابي أنه أنعم عليه وقتئذ برتبة اللواء (باشا) ولكنه رفضها مخافة أن يتهم أنه يعمل لشخصه . ولئن صح هذا وهو ما لا نستبعده، لكان لنا في مغزاه حسنة نضيفها إلى حسنات هذا الرجل ؛ حسنة نعتبرها من كبرى الحسنات فإن التهافت على الرتب والألقاب لم يزل حتى اليوم في بلادنا المسكينة داء عياء يتغلغل في نفوس سادتنا وكبرائنا !

ونقول لئن صح ذلك لأن الخبر من جانب عرابي فهو في مرتبة الدعوى! ونقول إنا لا نستبعده مستندين في ذلك إلى شاهد قوى، فهذا الرجل كان بطل الانقلاب يومئذ وعلى يده وصلت مصر إلى ما وصلت إليه ؛ فلم يفد من وراء ذلك أية فائدة شخصية . ولو كانت في نفسه يومئذ أطماع من هذا القبيل لرأيناه يصل على الأقل إلى مرتبة الوزير ، ونقول على الأقل لأنه كان في موقف يحكم فيه في الخديو وفرض عليه الشخص الذي يؤلف الوزارة ، وهو موقف يوحي إلى الأنفس الغرور ، فلو خالج نفس عرابي يومئذ طمع في جاه أو منصب لما وقف دونه إلى ما يبتغي حائل

ولقد اتصل بعرابي في منصبه الجديد المستر بلنت وطلب صداقته فأجابه عرابي في سرور إلى ما طلب وتصافحا . ولسوف تتمكن بينهما الصداقة وتتوثق عرى المودة سنين طويلة بعد ذلك

وجرى بين عرابي وبلنت في هذا اللقاء حديث أثبته كل منهما في مذكراته وفيه أشار عرابي إلى ارتياحه إلى تخلص مصر من مساوئ حكم اسماعيل ومن دسائس الجراكسة ، ولكنه أبدى تخاوفه من سياسة انجلترة وفرنسا نحو مصر ، وعبر عن أمله في أن تعطف انجلترة على حركة الحرية في مصر وهي الدولة التي تقدر الحرية ، وكان عرابي يتوقع العطف من انجلترة أكثر مما يتوقعه من فرنسا ولا سيما من جانب المستر غلادستون الذي اشتهر بعطفه على الحرية في كل مكان

وليت شعري ماذا يطلب الذين يرمون عرابياً بالطمع والجهل والنزق ، أكثر من هذه البراهين التي نسوقها على أنه كان بريئاً من هذا كله؟ ألم يأن لهؤلاء أن يقرأوا سيرة هذا الرجل في غير تحامل عليه حتى يعرفوا لهذا المصري المجاهد قدره وأثره في نهضتهم القومية؟

وهل يوجد في المعايب القومية عيب هو أشد قبحاً من جهل قوم برجالهم في الوقت الذي يرون غيرهم يمجدون ذكرى رجالهم فيوحون

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٢٠ — والجروح قصاص

كان فتى يجلس إلى أبي الحسن الحراني ، وكان يشرب الخمر فسكر ذات يوم فسقط على زجاجة فشجّ وجهه ، فاختفى إلى أن برِئ ثم عاد إلى مجالسة الشيخ فلما رآه أنشد :

أجرحَ كاساتٍ أرقتَ نجيعَها ... طلبُ التِّرات يعزّ منه خلاص[1]

لا تسفكن دم الزجاجة بعدها ... إن الجروح (كما علمت) قصاص[2]

ففهمها الشاب فتاب

٤٢١ — فلم تعلمني وهو لك ...

في (الحيوان) للجاحظ : قال صاحب الأهواز[3] : ما رأينا قوماً أعجب من العرب . أتيت الأحنف بن قيس فكلمته في حاجة إلى ابن زياد ، وكنت قد ظلمت في الخراج ، فكلمه فأحسن إليّ وحطّ عني . فأهديت إليه هدايا كثيرة فغضب وقال : إنا لا نأخذ على معونتنا أجراً . فلما كنت في بعض الطريق سقطت من ردائي دجاجة فلحقني رجل منهم فقال : هذه سقطت من ردائك . فأمرت له بدرهم ، ثم لحقني بالأُبُـلة[4] فقال : أنا صاحب الدجاجة

(١) النجيع : دم الجوف في الأصل (الترة.) الثأر ، الذحل

(٢) يسفك : بكسر عين الفعل وقد تضم وقرئ بها . في الآية : والجروح قصاص أي ذات قصاص والقصاص والتقاص في الجراحات شيء بشيء

(٣) الأهواز : سبع كورين البصرة وفارس

(٤) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة (معجم البلدان)

ثم لحقني بالأهواز فقال: أنا صاحب الدجاجة. فقلت له : إن رأيت زادي بعد هذا كله قد سقط فلا تعلمني وهو لك ...

٤٢٢ — ... والريح في فمي فاعزم وتوكل

قال زنام[1] الزامر : قال لي المتوكل : تأهب معي إلى الشام فقلت : يا أمير المومنين ، الناي في يدي ، والريح في فمي[2] فاعزم وتوكل

٤٢٣ — وقت شرابها نار العذاب

قال الثعالبي : بلغني أن ديوان شعر ابن مطران[3] حمل إلى حضرة الصاحب فأعجب به فقال : ما ظننت أن ما وراء النهر يخرج مثله ، ومر له في الشراب المطبوخ :

وراحٍ عذبتها النـــار حتى ... وقت شُرّابها نارَ العـذاب

يذيب الهمّ قبـل الحسو لونٌ ... لها ، في مثـل ياقوت مذاب

ويمنحها المزاج لهيب خـــد ... تشرّب ماؤه ماء الشـباب

فتعجب من حسن البيت الأول وتحفظه ، وكان كثيراً ما ينشده كأنه مقلوب قول السريّ في الخمر :

هات التي هي يوم الحشر أوزار ... كالنار في الحسن عقبى شربها النار

٤٢٤ — مغن ...

الثعالبي في (خاص الخاص) سمعت أبا بكر الخوارزمي غير مرة يقول :

أنا أحفظ في هجاء المغنين ما يقارب ألف بيت ، وليس أبلغ وأوجز وأطرب من قول أبي الفتح كشاجم[4] :

ومغن بارد النغــــمة مختل اليـــدين

ما رآه أحـــــد في ... دار قوم مرتين[5]

(١) الشريشي : زنام الزامر هو الذي أحدث الناي ، وهو المزمار الذي تدعوه عامشاً بالمغرب الزلامي فصحفوه بابدال نونه لاما وإنما هو زنامي

(٢) فالأمر لا يحتاج إلى تأهب ...

(٣) أبو محمد الحسن بن علي بن مطران ، كان يجمع بين أدب الدرس وأدب النفس وأدب الانس فيطرب بنثره كما يطرب بشعره ، ويؤنس بهزله كما يؤنس بجده ، وكان مضطرب الخلقة (اليتيمة)

(٤) قال أبو إسحق الحصري : كشاجم هذا اسمه محمود بن الحسن . كان كامل آلات الظرف . وقد ذكروا أنه سمى نفسه (كشاجم) لما يعلمه : فالكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من منجم ، والميم من مغن . (قلت في (أعلام الأستاذ الزركلي) اسمه محمود ابن محمد بن الحسين

(٥) في ديوانه ونهاية الأرب بعده :

قـــربه أقطع للــذات من سطوة بين

إلى الأجيال القادمة معاني الرجولة بما يقدمون لهم من الأمثلة ؟

لقد أعجب بلنت بعرابي ووقعت عباراته من نفسه موقعاً حسناً . يقول بلنت في ذلك : « وكان لهذا اللقاء الأول من حسن الأثر على رأيي في الضابط الفلاح ما حملني على الذهاب في الحال لصديق الشيخ محمد عبده لأفضى إليه بحقيقة هذا التأثير[1] »

ولقد بلغ من تأثر بلنت أن اقترح وضع تقرير عما أخبره عرابي به ليرسله إلى المستر غلادستون ، ثم اشترك مع الشيخ محمد عبده في كتابة برنامج الحزب الوطني وأطلعا البارودي عليه فوافقهما ثم أطلعا عرابياً عليه أيضاً فأقره وتولى بلنت رفعه إلى غلادستون . « يتبع »

الخفيف

(١) مذكرات بلنت ترجمة البلاغ

٤٢٥ — فى فساد الأحوال لله سر !

صوفى :

فى فساد الأحوال لله سرّ   والتباس فى غاية الإيضاح !
فتقول الجهال قد فسد الأمر   وذاك الفساد عين الصلاح !

٤٢٦ — كاد ماذا ؟

فى (طراز المجالس) : سمع عن العرب كان ماذا[1] ، ووقع فى شعر ابن المرجل فأنكره ابن أبى الربيع ، فصنف فى الرد عليه مصنفاً ، وأنشد فيه لنفسه :

عاب قوم (كان ماذا)   ليت شعرى لم هـذا ؟
وإذا عابوه جهـلاً   دون علم كان ماذا ؟

(١) ابن مالك : إن (ما) الاستفهامية إذا ركبت مع (ذا) تفارق وجوب الصدارة فيعمل فيها ما قبلها رفعا ونصبا فالرفع كقولهم : (كان ماذا) والنصب كقول أم المؤمنين أقول (ماذا) وفى شرح المفتاح الشريفى يجوزتأخير أدوات الاستفهام عن العامل لعدم بقاء معنىالاستفهام. ونظيره ما ورد : أدخل من أى أبواب الجنة شئت ، وفى الأمالى للقالى : قال أبو السمراء : ألقيت على جارية هذا البيت :

بعيد وصل قريب مد   جعلته منه لى ملاذا

فقالت فى سرعة :

وعانبوه فذاب عشـــقا   ومات وجداً فكان ماذا ؟

وفي (الـكامل) فى خبر : أكنت قائلة ماذا ، وفى (الأغانى) : قال معاوية فتريد ماذا (الجزء ١٣ الصفحة ١٥٢)

٤٢٧ — عاشق مفلس . . .

مرت جارية للقاسم بن الرشيد جميلة ، وفى كفها نرجس ، فجمشها[1] أبو نواس ، فلم تكلمه ، فقال : ما أقبح الهجر بك ياسيدتى . فقالت : أقبح من هجرى إفلاسك . فأنشأ يقول :

قلت لها يوماً ومرت بنـا   رُعبوبة فى كفها نرجس:[2]
ما أقبح الهجر ! فقالت لنا :   أقبح منـه عاشق مفلس

(١) الجمش والتجميش : المغازلة
(٢) جارية رعبوبة : شطبة تارة ، أو بيضاء ، أو طويلة (اللسان) شطبة تارة : فى بدنها نزارة وهي امتلاؤه من اللحم ورى العظم (الأساس) (قلت لها) : لا يحذف الضمير هنا مراعاة للمعنى ، وهو يحذف عند النحاة فى مثل هذه القاعدة فى (التنازع) : أكرمت وأكرمنى زيد ، مررت ومر بى زيد ، وابن عقيل يقول : قد جاء فى الشعر :

إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب   جهاراً ، فكن فى الغيب أحفظ للعهد
وألغ أحاديث الوشاة فقلمـا   يحاول واش غير هجران ذى ود

شبح الحرب

للأستاذ محمود غنيم

هو الموت أن قامت على ساقها الحرب
وإلا فحسب الناس ما يفعل الرعب
يلوح لهم فى النوم والصحو طيفها
ودون انتظار الخطب أن يقع الخطب
فزعنا فلا جفن من الخوف مطبِق   ولا مستقر فى مضاجعه جنب
ولا أنف إلا عالق بكمامة   ولا دار إلا شُق فى جوفها جب
وما اكتوت الأيدى ولا احترق الحشا
بجمر كجمر لا يشب ولا يخبو
فيأيها الليث المكشر للورى   حنانيك إما الانصراف أو الوثب

* * *

مطامع غر الغرب ومض سرابها
فأصبح يصلى نارها الشرق والغرب
كأنى بها قامت وشُب أُوارها
وقد جفت الأقلام وانطوت الكتب
سفين بلج البحر يرميه مثله   وسرب بأعلى الجو يقذفه سرب
وبينهما تمشى المنايا كأنها   طيور وأرواح الأنام لها حب
وغى لا الدروع السابغات موانع
أذاها ولا يُجدى بها الصارم العَضْب
تثلم حد السيف وانقصف القنا   وأصبح لا طعن هناك ولا ضرب
كأنى بها ترمى مدافعها فلا   يطيش لها سهم ولا مِضرب ينبو
تدمر ما تأتى عليه لو انها   تصوَّب نحو الألب دُك بها الألب
هى البرق خطافاً هى الرعد قاصفاً
هى الشهب إذ تهوى من الفلك الشهب
فمن كان يصطاد الحمام بنبله   فأن لنا نبلاً يصاد به القطب
كأنى بها والطائرات بغازها   تجود كما جادت بوابلها السحب
يمد إلى الأرواح كفيه خلسة
فلا الرأس مقطوع ولا الدم منصب
رقيق الحواشى لا تكاد تحسه   وألين منه الصخر والمعدن الصلب
له قطرات لا يبل بها صدى   ولا يابس تبقى عليه ولا رطب
إذا انتشرت فى الأفق لم ترع حرمة
لأنثى ولا شيخ علا رأسه الشيب
إذا انتشرت فى الأفق تصرع كاعبا
وتخنق أُمًّا خلفها طفلها يحبو
لقد شِيب بالسم الهواء فهل ترى   يشاب من الأنهار سائلها العذب

* * *

أرى الغرب يدنو كالفَراش من اللظى
أللقوم فى إحراق أنفسهم إرْب ؟
ويارُب حرب منذ عشرين حجة   بكل فؤاد من جراحتها ندب
أضرت بحزبيها وإن تم نصرها   لحزب وقاسى ذل خذلانها حزب
إذا ما ذكرناها اقشعرت جلودنا   إذ الناس كالأنعام قوتهم العشب
وإذ هم بأكناف الخنادق ما لهم   مضاجع غير الترب لو نفع الترب
يقاسون حراً ما لضب بحمله   يدان وبرداً ليس يحمله دب
وحشو أنوف القوم غاز مسمم   وللنار فى أجسامهم مرتع خصب
فيا لحروب لا تجف دماؤها   ويا لشعوب كلما نهضت تكبو
أجدكمو يا قوم طال بنا السرى   ولم يسترح حيناً من السفر الركب
لقد سار نحو المجد قوم فأدلجوا   ولم يعلموا أين انتهى بهم الدرب
ولو أنفقوا فى الخير ما ينفقونه
على الحرب عم الخصب وانقطع الجدب
ولم يبق طاو ليس يملك قوته   ولم يبق عار ليس يستره ثوب

* * *

شعوب بعصر النور يفتك بعضها   ببعض كما يعدو على الحمل الذئب
يمثَّل بالإنسان فى الغرب بينما   يعيش قرير العين فى ظله الكلب
إذا قنص الليث الغزالة ساغباً   فما ذنب شعب بات يقنصه شعب
ذنوب الضعاف العاجزين كثيرة   وما لقوىٍّ إذ تحاسبه ذنب
كأنْ ليس بين العالمين شرائع   ولا خلفهم حشر ولا فوقهم رب
ولا فى قوانين البرية رحمة   ولا شىء فى الدنيا يقال له الحب
ولم يبق معبوداً سوى القوت وحده
فكل فؤاد مستهام به صب
عزاء لنا أن الحضارة أفلست   فرونقها زيف ومنطقها كذب
إذا ما تمثلت الحضارة خلتها   لباة لها جوف وليس لها قلب
سل العلماء الفاخرين بعلمهم   أجاءوا بنور العلم أم ناره شبوا
تقدم فن الموت أى تقدم   وسار بطيئاً عاثر القدم الطب

المليك الطفل فيصل الثاني

للآنسة زينب الحكيم



صورة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني تدل على شخصية طامحة للعظمة ... رجل صغير في الثالثة من عمره ، يمتاز بسمات النجابة ، والنظرة اليقظة ، والرجولة البادية آثارها في يديه المعقودتين وراء ظهره ، ولباس الضابط الذي يحتوي هذه الشخصية الكبيرة الوثابة على الرغم من حداثة السن ومن الطفولة البريئة ، إنما يشير إلى النفع والمساعدة والتضحية . ويكمن في قسماته غموض عميق

لقد كان لي شرف مقابلة جلالة والده المغفور له الملك غازي الأول ، وكان ذا شخصية كريمة ، وسجايا عربية سمحة ، وهمة بدوية نافذة مع تقلب الظروف حوله

إنصرفت من حضرته ، وقد أثر في نفسي طلاوة حديثه ، وإيمانه بالاعتماد على نفسه بعد الله في الأخذ بيد شعبه إلى مراقي السمو والفلاح ؛ مستمداً من شعبه الكريم الهمة والشجاعة

إن في سيرة فيصل الأول وابنه الراحل بسبب الحادث المشئوم ، ما يظهر للناس كيفية البلوغ إلى العظمة ؛ ولهذا فكانا ملكين من أحكم الملوك وأعظمهم

إني قوية الأمل شديدة الرجاء في أن يهيئ قادة الرأي في العراق أجمل الفرص للمليك العزيز فيصل الثاني ، لأن يتصفح تاريخ أبيه وجده ، فهو سفر ذو صفحات زاخرة ، فيها إصلاح وتجديد ، وفيها حِكم وعبر ، وفيها قدوة حسنة

* * *

لعمري ماذا تكون رسالتك « يا غازي » رحمة الله عليك وأنت في عالم الأبدية إلى الأحياء ؟ لسوف تتكلم من عالم الحقيقة ولسوف تُسمع كلماتك ويطاع أمرك بحماس وينفذ بقوة

إني أستمع موسيقى رسالتك بين طبقات الأثير ، ولا تلبث الرسالة أن تصل إلى إدراك الأحياء . وأشعر أن أول رسالة منك هي لابنك العزيز وستكون نفسه أسرع لالتقاطها ، وكنت الأب المعطوف عليه وهو شديد التعلق بك . إن رسالتك إليه رسالة معنوية صامتة ، تدركه فترحمه من انزعاجه لفقدك ، وتقوي من عزيمته لتكوين مستقبله الذي سيكون زاهراً بإذن الله

أما الرسالة الثانية : فهي إلى الزوجة الثكلى ؛ وهي رسالة من شهيد ينعم برضاء ربه ، رسالة زوج تحرر من قيود الملك وعناء التشكيلات ، ولذلك فهي رسالة عطف غامر طاهر ، ترد عليك بعض لهفتك يا والدة فيصل الثاني وتقوي من احتمالك للمصيبة ، وتستنهض همتك لإدراك روح غازي في ابن غازي « فيصل طفل اليوم » ، وبفضلك وحزم رعايتك يكون رجل الغد المسئول

من أهم ما لفت نظري وأنا أتتبع تاريخ حياة الملكة فكتوريا الطريقة التي اتبعتها في تربية أولادها . روى عنها أنها كلما أرادت اختيار مربية لأولادها ، كانت تكلف بعض خلصائها أن يبعثوا إليها ببعض من يثقون بهن من المربيات ، وكانت لا تقابلهن في بادئ الأمر ، وإنما تأمر بأن تقدم المربية إلى الأطفال مباشرة وهي تراقبها معهم من وراء ستار . وكان يتوقف قبولها أو رفضها للمربية على تلك المقابلة الأولى مع أطفالها . سئلت مرة عن السر في قبولها إحدى المربيات وقد أثنت عليها دون تحفظ ووددت لو كان جميع المربيات مثلها فقالت : لقد رأيت فيها حنو الأم الطبيعي وتضحيتها الصادقة في معاملة الأطفال مما دعاني إلى الظهور لها من وراء السجف لأشكرها وأشعرها برضائي عنها

وهكذا كان لها رأي خاص بالنسبة لاختيار المرافقين من الرجال، وكانت تختار من تتوسم في معاملاته للأطفال الأمراء

فظائع لم يحلم أوائلنا بها — فيا ليت شعري ماالذي يضمر الغيب ؟

فسحقاً لعصر النور سحقاً لأهله — فكل بني حواء دأبهم السلب

كذلك شأن الناس من عهد آدم — تباينت الأشكال واتحد اللب

وحسب بني حواء عيباً حروبهم — إذا لم يكن غير الحروب لهم عيب

(مدرسة الأورمان) محمود غنيم



دراسات فى الفن

الغناء بين الارتجال والربط

بمناسبة ذكرى عبده الحامولى

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

أشير على وزارة المعارف أن تفكر فى إحياء ذكرى عبده الحامولى فحدث أن استجابت للاشارة وفكرت. وجمعت وزارة المعارف — كعادة الوزارات كلها حين تعتزم التفكير فى جلائل الأمور — حزمة من الرؤوس المفكرة كانت درتها المتألقة رأس معالى وزير المعارف الأديب الفنان. وطرحت مسألة الذكرى أمام هذه الرؤوس المفكرة ففكرت فيها وفكرت، ساعة أو ساعتين، فكرت ثم خرجت بتفكيرها أو خرجت من تفكيرها بأن هذه المسألة عقدة معقدة، وإنها ليست من المسائل التى يحلو التفكير فيها للرؤوس المفكرة بحيث تطيق أن تستوعبها وأن تلم بأطرافها أو تعتصرها فى جلسة واحدة فأفسحت للتفكير فيها من وقتها خمسة شهور تبدأ فى مايو هذا وتنتهى فى اكتوبر المقبل تنفرط فيها حزمة الرؤوس المفكرة لتملك كل منها التفكير فيها، وهى على حدة فى مسألة ذكرى الحامولى المعقدة ثم تجتمع بعدها ليقول كل رأس منها لإخوته : أى حل يَسَّره، أو أى تيسير قدَّره

وأخشى ما نخشاه هو أن تعود حزمة الرؤوس المفكرة بعد هذا الاجتماع فتنفرط، ثم تعود فتجتمع، ويطول بها الانفراط والاجتماع حتى تصبح ذكرى الحامولى من مشكلات الدولة المستعصية كما استعصت على الدولة قبلها مشكلة الأوقاف الأهلية، ومشكلة مياه الشرب فى القرى، ومشكلة تعليم اللغة العربية وغير ذلك من المشاكل الملعونة الجاحدة التى طالما أجهدت — فى غير رحمة ولا استحياء — حزماً من الرؤوس المفكرة

على أننا لا نزال مستبشرين خيراً، فإنه لا يبعد على الله، ولا يكثر على الله، أن يسأل رأس من هذه الرؤوس المفكرة نفسه فى بحر هذه الشهور الخمسة عن عبده الحمولى : من هو ؟ فعندئذ لا بد أن يجيب هذا الرأس نفسه بأن عبده الحامولى كان مغنياً. وقد يحدث بعد أن يطرب هذا الرأس المتسائل لتوفيق الله الذى مكنه من إصابة هذه الحقيقة البعيدة النائية أن يذكر أن عبده الحامولى كان مغنياً من نوع كاد ينقرض من بين أهل الحرفة اليوم، لا لأن أهل الحرفة قد سمن إحساسهم ؛ وإنما لأن الحياة نفسها استدعت هذا الانقراض، وهى لا تزال تستدعيه.

فقد كان المغنون فى الجيل الماضى يغنون فى اجتماعات عامة من حيث إقبال الناس عليها، ولكنها كانت خاصة من حيث الإنفاق عليها والدعوة إليها، وكانت الأفراح هى الفرص المتلاحقة التى كان يدعى فيها المغنون إلى الغناء، وكان صاحب « الفرح » هو الذى يختار المغنى الذى يدعوه، وكان يرهق نفسه فى إكرامه إرهاقاً كانت تستلزمه روح التفاخر التى كانت شائعة فى ذلك

فى غير وجودها سمات الأبوة الرصينة.

والسيدات العراقيات على ما خبرت من أحوالهن، أمهات صالحات بارات مضحيات، وسيدة البلاد الأولى … أم فيصل الثانى … تبزهن جميعاً فى يقظة الانتباه، وصدق النظرة، وقوة الطموح

نرجو للعراق وأهل العراق السلامة من كل مكروه، وأن يسلم رجاله العاملون، بفناء الخصومات، واندثار الشرور التى تعكر صفو النفوس وتهد أركان الوطن المفدى.

رحم الله سيد البلاد الراحل وعزى أهله وشعبه أجل العزاء.

زينب الحكيم

الحين بين المصريين أغنياء وفقراء ، وكان يبذل له العطاء كما كان يتأنق في إعداد المائدة له ولأفراد فرقته ؛ فكان يطعمهم طعاماً شهياً خفيفاً حتى يكتفوا ، وكان يسقيهم خمراً سائغة مشعشعة حتى ينتشوا ؛ وكان يصبر عليهم لا يطالبهم بعزف ولا غناء حتى يستخفهم الطرب، فيعمد منهم صاحب القانون إلى قانونه، وصاحب العود إلى عوده، وصاحب الدف إلى دفه؛ والمغنى لا تزال روحه تترنح من الشرب والطرب والبهجة والفرح حتى يطيب له أن ينطلق فينطلق

وكان المغنى يصيح وهو يعلم أن بين مستمعيه مغنين ومطربين خفوا إليه ليتيموا أنفسهم بحلاوة ترتيله وبهاء نشوته . والذين حضروا أمثال هذه الحفلات يروون لنا أن محمد عثمان كان يجرى وراء عبده الحامولى ليسمعه ، وأن عبده الحامولى كان يلاحق محمد عثمان ليسترد منه الدين متعة وطرباً ، وهم يقولون أيضاً إن محمد عثمان كان يسمع من الحامولى الدور فلا يتحرج من الاستيلاء على نظمه وكلامه فيلحنه تلحيناً جديداً ويغنيه غناء يجبر الحامولى على أن يترك له الدور مسلماً فيه أمره لله ولصناعة محمد عثمان المنظمة المنسقة

وقد كان محمد عثمان يختلف عن الحامولى اختلافاً بيناً . فقد كان الحامولى أقرب إلى الطبيعة من صاحبه ، فكان أكثر غنائه ارتجالاً لا يعده ولا يهيئه ، وكان صوته الممتاز الحلو النقى ، ونفسه الطويل المشبع ، وروحه الصافية المرفرفة ... كان هذا كله يمكنه من السيطرة على نفوس سامعيه والتحكم فيها والخروج بها من حال إلى حال بما لم يتح بعده إلا لسيد درويش الذى أغناه صدقه وعوضته قوة روحه عن حلاوة الصوت وعذوبته

أما محمد عثمان فكان يربط ألحانه قبل إنشادها، وكان لا ينطلق ولا يتحرر مما ربطه إلا في فترات من ليلته ثم يعود بعد ذلك إلى ما ربطه وقيده . وانقسم المغنون والمطربون في ذلك الحين إلى مدرستين : مدرسة الارتجال التى كان يتزعمها عبده الحامولى وكان من أساطينها محمد سالم العجوز ؛ ومدرسة الربط التى كان يتزعمها محمد عثمان وكان من أساطينها يوسف المنيلاوى ثم سيد الصفطى . على أن الربط في ذلك الحين لم يكن مقيداً مكتوفاً كل الكتف وإنما كان — كما تقدم — يفسح للمغنى مجال التصرف والتخليق، متى أتيح له التصرف والتخليق

والذى نريد أن نصل إليه من تقرير هذه الحقائق كلها هو أن مجالات الطرب في الجيل الماضى كانت تعنى بتهيئة جو الغناء للمطرب ، فكانت تتملقه بالأجر المغرى ، وتتزلف إليه بالكاس والطاس ، وتحفزه بالتشجيع من جانب المستمعين ، والتحدى من جانب المطربين ، وهذا كله كان يلهب المغنى إلهاباً ويشعل روحه إشعالاً وينقل روحه إلى حال من حالين : فإما نشوة ورضى، وإما ركوداً وغماً . فإذا ما أصابه التوفيق بالنشوة والرضى فقد غنت روحه ورقصت ؛ وإذا ما ركد وتخاذل فإنه كثيراً ما كان يعتذر عن الغناء ويتهرب منه . ولا يزال هواة الطرب من المخضرمين يذكرون لنا أن عبده الحامولى كان يفسح في تخته مجالاً لمحمد عثمان ويدعوه إلى الغناء في بعض لياليه ، كما أنهم يذكرون لنا أن عبدالحى حلمى كان يضرب الغلاظ من مستمعيه أحياناً بطربوشه ويبكى ويصر على إبعادهم عنه وإلا يروغ من « الفرح »

هذا يدل دلالة قاطعة على أن المغنين في الجيل الماضى كانوا يغنون لأنفسهم كما كانوا يغنون للناس، أو إنهم في الحق كانوا يغنون لأنفسهم في مناسبات يهيئها لهم الناس ويدعونهم إليها

ولعله لم يبق في هذا الجيل الذى نعيش فيه من أهل هذا المزاج إلا فئة القرئين فهم وحدهم الذين يرتجلون الترتيل ، وهم وحدهم الذين « يتفاعلون » مع جمهورهم أثناء إنشادهم وقراءتهم. أما المغنون فكلهم كما نعلم يسترجعون في حفلاتهم ما علمهم إياه الملحنون ، وأما الملحنون فكلهم يعدون ألحانهم إعداداً تاماً قبل غنائها أمام الجمهور إذا ما دعوا للغناء أمامه. وليس يشذ عن هذه القاعدة من ملحنى اليوم إلا زكريا أحمد ومحمود صبح . فهما وحدهما اللذان ينطلقان في الغناء بما توحيه إليهما نفساهما . أما زكريا فتنساب نفسه في غنائه بأسلوب مصرى رقيق ، وأما محمود صبح فتجمع روحه في غنائه بأسلوب تركى متعجرف مكنته منه دراسته التى صرفته عن طبيعته المصرية فأصبح وله لون خاص به في غنائه ، ليته كان مصرياً قريباً من نفسه ونفوسنا

ونعود الآن إلى غناء الماضى لنلحظ فيه ملحوظة تعزز ما ذهبنا إليه ، ذلك أنه كان غناء شراب وفرح وبهجة؛ وقد نجهد أنفسنا في البحث إجهاداً كبيراً إذا حاولنا أن نعثر فيه على شيء غير الشراب والفرح والبهجة التى كانت تبعثها مناسبات الغناء في نفوس المغنين . وقد كان المغنون في الجيل الماضى يعيشون في أفراح متواصلة متتابعة . ولعل القارئ يعجب حين يعلم أن موسراً من الموسرين أراد أن يحيى له ليلة فرحه المطرب الشيخ سيد الصفطى ؛ فلما قابله أخبره الشيخ الصفطى بأنه مقيد بتسعين ليلة

مقبلة لا يمكنه أن يتحلل من إحداها ، فاضطر الموسر أن يؤجل فرحه ثلاثة شهور متتالية. فإذا كان هذا هو حال الشيخ الصفطى الذى لم يكن ملحناً ولم يكن أستاذاً لمدرسة فى الغناء فكيف كانت حال عبده الحامولى ، ومحمد عثمان ؟ إنهما لم يكونا يملكان إلا أن يعيشا فى أفراح بعد أفراح . ولقد نضحت أغانيهما بهذه الأفراح حتى ما كان منها يجنح نظمه إلى الشكوى والألم ، فقد كانا يغنيان فى فرح وفى مرح تستسيغهما المناسبة وإن كان الفن والمعنى يزورّان عنهما

ولـكن هذا ليس معناه أنهما كانا يغنيان على وتيرة واحدة هى نمط البهجة، وإنما كانت روحاهما تنتفضان أحياناً بالأنين والألم. وقد سجل التاريخ لعبده الحامولى وقفة خالدة من وقفات الفن الرائعة إذ جاءه نعى وحيده فى ليلة زفافه وكان عبده هو الذى يحييها بغنائه، فغنى عبده ليلتئذ غناء أسال قلوب سامعيه دموعاً ، وعصر نفوسهم دماً، وطبع أرواحهم بطابع أسود خدرهم وهم فى مقاعدهم ولم يخطر ببال أحدهم أن يسائل عن سره أو منشئه، حتي إذا طلعت الشمس شاع بينهم الخبر فلزموا مجالسهم حتى جهزت الجنازة فخرجوا بها مشيعين العروس الذى خفوا ليشاطروه الفرح

هذه هى حال الغناء فى الجيل المـاضى ، وهذه هى حال إمامه عبده الحامولى ، وهى كما ترى أقرب الأحوال إلى الغناء الطبيعى الذى يصدر عن النفس الصادقة فى لون صادق من ألوان العواطف هو الفرح . فإذا قلنا إن الغناء يكاد ينقرض فإنما نقصد بذلك هذا اللون الطبيعى أو الأقرب من الطبيعة .

فكيف إذن يمكن أن يُحيا غناء كهذا ، أو كيف يمكن أن نحيي بنوع من الغناء ذكرى مغن كعبده الحامولى ؟

خطر لحزمة الرؤوس المفكرة التى اجتمعت فى وزارة المعارف أن يغنى مغن فى حفلة الذكرى شيئاً من أغانى عبده الحامولى ؛ فأشبه هذا الخاطر خاطر الذى مر برأس صاحب لنا كان صوته يشبه صوت سعد زغلول، فرأى أن يلقى إحدى خطب سعد زغلول فى حفلة من حفلات ذكراه ، ولم يمنعه من تنفيذ فكرته هذه إلا أنه عجز عن الاتصال بأصحاب الأمر والنهى فى هذه الحفلات . ولعله لو كان قد وصل إلى أصحاب الأمر والنهى هؤلاء لـكان قد استطاع أن يقدم للمحتفلين بذكرى الخطيب العظيم الراحل هذه «النمرة الـكوميك» . فيدخل على نفوسهم شيئاً من الراحة قد يشعرون بالحاجة إليه خلال ذلك الألم الذى ينتاب نفوسهم حين يذكرون الفقيد .

فهل تريد وزارة المعارف أن تكون لذيذة كصاحبنا هذا حين تريد أن تكرم رجلاً من أساطين الفنانين المصريين ؟

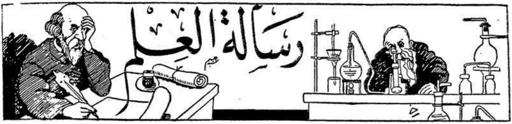
إن عبده الحامولى لا يمكن أن يستعاد ولا يمكن أن يسترجع ، وليس كل عظيم بمستطاع أن يكرم ذكره بتكريم من نوع موهبته وفنه . فالأمريكان إذا أحبوا أن يذكروا إديسون فى حفلة فإنهم لا يستطيعون أن يعرضوا فى هذه الحفلة مخترعاً يخترع أمام الجمهور اختراعات إديسون !

إنما هناك وسائل أخرى لتكريم أمثال هؤلاء الذين تتصل كرامتهم بأشخاصهم وذواتهم ، فلأمثال هؤلاء يمكن أن تقام التماثيل ، وبأسماء هؤلاء يمكن أن تتوج المسارح القومية ومعاهد الفنون . وأما ترجيع فنهم نفسه فمحال إلا إذا كان الفن مربوطاً مقيداً مثل فن سيد درويش. فهو الذى تستطيع وزارة المعارف أن تحمل الفرقة القومية على تمثيل رواياته الخالدة

أما إذا أصرت وزارة المعارف على أن تحيى ذكرى عبده الحامولى بغناء وألحان من المحفوظ عنه فإننا نرجوها أن تتريث كل التريث قبـل أن تختار المغنين الذين ستعهد إليهم بإحياء هذه الذكرى الجليلة ، وعليها أن تعرف أن عبده الحامولى كان مغنياً صاحب صوت قوى جميل كامل لا يمكن أن يجود الزمن بمثله إلا بين دهر ودهر ، وأنه كان يسلط روحه الصافية على صوته هذا وحده فيتسلط به على سمع الزمن ، فهل بين المطربين المصريين اليوم من أتيحت له هذه القوة ؟..

قد يكون الشيخ على محمود وحده أشبه الأحياء به . . . فلو أنه راجع مع المخضرمين من المطربين أغانى الحامولى فقد يتاح له أن يوفق إلى صورة من الغنـاء هى أقرب الصور إلى غناء الفقيد الـكريم . أما أصدق الصور وأشدها أمانة فهى لا ريب هذه الصور التى طبعها الفقيد بصوته على «الاسطوانات» القليلة التى عبأها، فأين هى ؟..

عزيز أحمد فهمى



فـــروض

للدكتور محمد محمود غالى

تخترقنا جميعاً الأشعة الكونية أو الأشعة النافذة كما يسمونها ، أحياء كنا أم أمواتاً ، شباباً كنا أم شيوخاً ، تنفذ فينا جميعاً بقدر واحد . تُرى هل يُعد هذا التفتت الدائم فى أجسامنا الذى يلازمنا من المولد حتى الممات ملائماً لوجودنا ومساعداً على بقائنا ؟ أو هو على النقيض من ذلك . أميل إلى الاعتقاد بأنها مُبيدة لنا مهلكة لحياتنا . ومتى كان الهدم من عوامل البقاء ، والتفتت مدعاة للحياة لا للفناء ؟

إلى المتحف المصرى وإلى الطابق الثالث منه نقلوا حديثاً من المنزل الذى أقام فيه مسيو لاكو المدير السابق لمصلحة الآثار، عشرين مومياء لفراعنة مصر الأقدمين ، يمثلون ثلاثين قرناً أو يزيد من أزهى العصور فى تاريخ البشر . ويكفى لتعريف هذه الفترة السعيدة التى خلت أن نذكر ، أنها الفترة التى كوّن الإنسان فيها معارفه الأولى وعلومه البدائية التى كانت سبباً وأساساً لمعظم ما نملكه اليوم من معارف وعلوم . فالحلقة متصلة إذ كان لهؤلاء الملوك الأولين والمؤتمرين بأوامرهم والآخذين بنظمهم الفضل الأول فى كثير مما نعرفه اليوم .

هذه المومياء الهامدة ظلت مستريحة قروناً عديدة ، لا يحميها ما حولها من لفافات عديدة ، أو ما يُحيط بها من صناديق محلاة بالذهب والنقوش ، من الهدْم الذرى والتفتت الداخلى الحادثين حتماً من اختراق جسيمات الأشعة الكونية لها ، بقدر ما تحميها طبقات الرمال والصخور التى تعلو الأماكن التى وجدت فيها ، فإن هذه الطبقات المفصولة عن سطح الأرض بعشرات الأمتار تمتص هذه الأشعة أو الجزء الأكبر منها

قليل من التأمل وعود إلى الحساب البسيط يجعلنا ندرك العدد الكبير من هذه الجسيمات التى تخترق هذه المومياء التى لا يحميها الآن من هذا التهدم سوى سقوف المتحف المصرى ، فهذه القذائف الكونية الدائمة تخترق المومياء الخالدة بمعدل قذيفة على كل سنتيمتر مربع فى كل دقيقة، أى أن خمسة آلاف من هذه القذائف الفاتكة تخترق فى كل دقيقة كل واحدة من المومياء الممدودة ؛ بينما كان لا يخترقها فى مثل هذه الفترة وهى فى وضعها الأول، مصونة بالرمال والصخور ، سوى قذيفتين أو ثلاث؛ وقد لا يخترقها واحدة من هذه القذائف . وفى ظنى أن الذين قاموا بنقلها من مكامنها الأولى وأزعجوها من راحتها الأبدية ، لم يعيروا هذه القذائف الدائمة أية التفاتة ، فهم لا يعرفونها . ومن يدرى ؟ فقد تكون هذه القذائف مدمرة لها على طول الزمن ومتلفة لعناصر وجودها . أو يصح لنا إذن أن نعتقد أنه كان لخوفو منشئ الهرم الأكبر نوع من الغريزة جعلته يشعر بضرورة بناء ضريح فى ضخامة الهرم لحماية رفاته من كل عوامل التبديد ؟

* * *

لا شك أن خوفو وأمثاله كانوا يجهلون الأشعة الكونية ؛ وكأنهم عمدوا إلى الاحتياط من تلك الأشعة التى نلخص فى هذا المقال موضوعها ، والتى تعد من أعجب ما نعرفه فى مراحل العلم الحديث بقوة طاقتها التى تفوق آلاف المرات طاقة أشعة الراديوم وقوة اختراقها للأشياء ، فتخترق ما يبلغ سمكه بضعة أمتار من الرصاص . وقد شرحنا كيف يستطيع العلماء تسجيل صور مسارات جسيماتها بعد اختراقها كتلة كبيرة من المادة ، وشرحنا كيف يسمعون إنذاراً بمرور قذائفها التى لها أقوى الأثر على المادة التى تخترقها

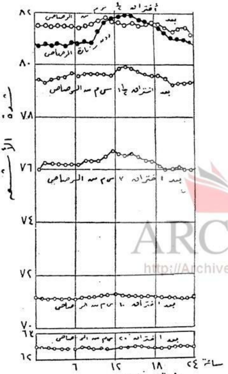
ونتكلم اليوم عن الفكرة فى مصدر أو أصل هذه الأشعة الخارقة لما اعتدناه من إشعاع . ويَجمُل قبل ذلك أن نذكر كلمة أخيرة عن بعض النتائج الهامة فى دراسة هذه الأشعة . وهذه النتائج هى مادة لموضوعات مختلفة نكتفى هنا بالإيماء إليها :

الموضوع الأول هو تقسيم العلماء هذه الأشعة إلى نوعين : النوع الأول جسيمات رخوة Corpuscules du groupe mou وهذه نتجت عن الأشعة الكونية وليست هى الأشعة ذاتها . والنوع الثانى جسيمات صلبة Corpuscules du groupe dur وهى جزء من الأشعة الكونية نفسها قبل اختراقها طبقات الهواء أو الأرض

وهذا التقسيم إنما جرى تبعاً لمقدار المادة التى تستطيع الأشعة النفاذ فيها . وللعالم روسى[1] تجارب تدعو للإعجاب فى وضع ستار من الرصاص يمر بواسطتها أولاً اتجاه الأشعة، وثانياً درجة نفاذها فى المادة التى تصادفها وأثرها عليها . وفى ذلك يستعمل روسى عدادات الألكترونات وغرفة ولسون مجتمعة فى تجربة واحدة .

الموضوع الثانى هو دراسة تغير هذه الأشعة تبعاً لخطوط العرض؛ ولهذا أثر هام فى معرفة ما إذا كان منشأ الأشعة خارجاً عن نطاق المحيط الأرضى . وقد أدت هذه الدراسة إلى أن هذه الأشعة تنقص بمقدار حوالى ١٤ ٪ عند ما تقترب من خط الاستواء . وهذا ناتج من أثر المجال المغناطيسى الأرضى واختلاف شدته من منطقة إلى أخرى . وقد بَيَّن ذلك كلاى فى أبحاثه التى تبعتها دراسة دولية تولاها العالم كونتون فى سنة ١٩٣٠ إذ قامت ٦٩ محطة مختلفة فى المعمورة بدراسة الأشعة . وهذه المحطات منتشرة بين خطى عرض ٧٨ شمالاً و٤٦ جنوباً . وفى سبتمبر سنة ١٩٣٣ قام زميلانا بيير أوجيه M. P. auger والبرانس رينجيه Leprince Ringuet بأبحاث هامة[2] بين الهافر وبونس إيرس ذهاباً وإياباً حيث سجلا ١٧٠ ألف مسار للأشعة الكونية . وفى الـ ١٧٠ ألف شعاع التى سجلها هذان الباحثان نرى أن الأشعة الكونية تنقص بمقدار ١٦ ٪ عند خط الاستواء

الموضوع الثالث دراسة تَغَيُّر شدة الأشعة تبعاً لنظام تعاقب الليل والنهار أى مع الوقت الشمسى . ولهذا أثره فى معرفة ما إذا كانت الشمس مصدراً لهذه الأشعة . وقد دلت هذه الدراسة على أن الأشعة لا تتغير مع تغير الليل والنهار . وفى هذا الشكل نرى كيف تتغير شدة الأشعة مع ساعات اليوم



الوقت الشمسى
بعد أبحاث مسرشميت (Messerschmidt)

فالإحداثى الرأسى ويُسمى محور الصادات يبين مقدار شدة الأشعة ، والإحداثى الأفقى ويسمى محور السينات يبين الوقت . وفى المنحنى (١) نرى كيف تتغَيَّر شدة الأشعة مع مرور اليوم دون أن تخترق الأشعة مادة على الإطلاق

وفى المنحنى (٢) نرى تَغَيُّر شدة الأشعة بعد أن تكون قد اخترقت ½ س م من الرصاص . وفى الحالتين نرى حوالى الساعة ١٢ ازدياداً طفيفاً فى الأشعة ، وهذه الزيادة نرى أثرها مرة أخرى فى المنحنيين (٣) و (٤) اللذين يمثلان تَغَيُّر الأشعة بعد اختراقها ٥ر١ س م من الرصاص و ٣ س م منه . أما المنحنيان (٥) و (٦)

(١) روسى أستاذ جامعة بادو وقد طبع كتاباً عن الأشعة الكونية باللغة الفرنسية . الطابع هرمان باريز سنة ١٩٣٥

(٢) هذه الأبحاث منشورة فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى بتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٣ ص ١٢٤٢

فيمثلان شدة الأشعة وتغيرها مع الزمن بعد اختراق ١٠ س م من الرصاص و ٢٠ س م منه، ولا نرى فيهما أثراً لأى تغيُّر فى شدة الأشعة بل نرى ثباتها على مرور الساعات، وهذا يثبت أن الجزء الصلب من الأشعة الكونية أى الأشعة الكونية الأولى قبل اختراقها الجو غير مرتبط بالشمس بأى حال من الأحوال

والموضوع الرابع هو دراسة الأشعة مع المجال المغناطيسى الأرضى، وهو دراسة رياضية وطبيعية عويصة قام بها علماء كثيرون نذكر منهم ستورمر Stormer، ونرى ألا نتعرض له فى هذه السطور لصعوبته وعدم فائدته للقارئ

على أن استعراض هذه المسائل ولو على هذا النحو المختصر يفيدنا الآن فى مناقشة أصل الأشعة الكونية وسرد كل الفروض التى يعتقدها العلماء فى مصدرها

***

فى نشرات العالم الكبير س. ت. ر. ولسون[1] (C. T. R. Wilson) بين سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٩ يفرض أن يكون منشأ الأشعة النافذة هو المجال الكهربائى الحادث من العواصف الجوية (Orages)، وقد بين أن الألكترونات تقذف فى هذا المجال بقدر مجموع الطاقة الحادثة من فرق الضغط الكهربائى بين الغيوم المشبعة بالكهرباء، وتبلغ هذه الطاقة آلاف الملايين من الفولتات. على أن اختراق بعض جسيمات الأشعة الكونية أعماقاً من المياه تزيد فى بعض الأحيان عن الـ ٥٠٠ متر يتطلب طاقة أكبر بكثير من الطاقة المذكورة. ومن السهل أن نرى أيضاً أنه لا يمكن بإتباع الرأى المتقدم أن نفسر التغيير الحادث فى شدة الأشعة مع خطوط العرض وهو التغيير الذى سبق أن شرحناه.

وعلى وفق آراء ولسون تقذف الألكترونات فى العواصف لأعلى السحب المحملة بالكهرباء، ثم تنحنى مساراتها بوجود المجال المغناطيسى الأرضى حتى تصل إلى سطح الأرض. ومع ملاحظة أن نصف قطر الانحناء للألكترون له هذه الطاقة المتقدمة لا يتجاوز ٧٠٠ كيلو متر وملاحظة أن هذا جزء يسير بالنسبة إلى نصف قطر الأرض، فإنه من السهل أن ندرك أنه لا يمكن لهذه الألكترونات أن تكون موزعة بالتساوى حول سطح الكرة الأرضية، وحيث أن توزيع العواصف نفسها ليس توزيعاً متساوياً فوق سطح الأرض فإنه من الصعب تعليل ثبات الجزء الرئيسى من الأشعة الكونية ثباتاً لا يزيد التغيير فيه عن $\frac{1}{1000}$

وما يقال عن الألكترونات الحادثة عن العواصف يقال عن الألكترونات الحادثة عن السحب العادية. فهذه وإن كانت أكثر انتظاماً فى توزيعها حول الأرض إلا أن الطاقة الحادثة عنها لا يمكن أن تُسبب الطاقة العظيمة الموجودة فى الكترونات الأشعة الكونية. كل هذا لايمنع أن السحب المصحوبة بعواصف شديدة يمكن أن تكون قسما من الجزء الرخو فى الأشعة الكونية، وقد بين ذلك شونلاند وفيلجوان[1] Schonland et Viljoen

على أن من الصعب جداً أن نتخيل علة أرضية أخرى تكون منشأ الأشعة الكونية. فمثلاً يستحيل مهما كانت الحالة الكهربائية للطبقات العليا من الجو أن نتصور مجالاً كهربائياً عمودياً على الأرض يكون عظيما بحيث يكون مستمراً وتكون له مثل هذه الطاقة

ولو أننا وافقنا على أن يكون منشأ الأشعة الكونية خارجاً عن نطاق الكرة الأرضية فإن ثبات شدتها المتناهى ثباتاً فى الزمن يضطرنا إلى أن نفترض أن لها الخواص ذاتها فى الحيز المكون المكون فى مجموعه

فالشمس لا يمكن إذن أن تكون مصدراً لهذه الأشعة. كذلك النجوم المكونة للمجرة، لأن هذه النجوم غير موزعة توزيعاً منتظما حول الأرض. فلو كانت الشمس مصدرها لاختلفت شدتها مع الوقت الشمسى. ولو كانت المجرة منشأها لاختلفت شدتها مع الوقت النجمى. وهذا الاختلاف أو ذاك لا وجود له بالمرة، وبخاصة فى الجسيمات الصلبة أو القوية من هذه الأشعة

وما يُقال عن المجرة يُقال عن العوالم الأخرى التى ليست موزعة توزيعاً منتظما حول الكون المغلق

على أنه لا يمكن أن يكون مصدر الأشعة المكونات الداخلية للنجوم، لأن طاقة الأشعة فى هذه الحالة تصبح ضعيفة لاختراقها كل مادة النجم

(١) س. ت. ر. ولسون مجموعة جمية كمبردج الفلسفية ٢٢ ص ٥٢٤ (١٩٢٤) ومجموعة الجمية الطبيعية لندرة ٣٧ ص ٣٢ (١٩٢٥) وجريدة معهد فرانكلين ٢٠٨ ص ١٠ (١٩٢٥)

ملحوظة: اتبعنا فى كتابة المراجع الطريقة الأفرنجية وتتلخص فى ذكر اسم المرجع فنمرة المجلد أو الجزء ثم الصحيفة ثم السنة وهى طريقة مختصرة، حبذا لو اتبعها كتاب العربية

(١) محاضر الجمية الملكية الانجليزية ١٤٠ ص ٣١٤ (١٩٣٣)

ومهما يكن من الأمر فإن مصدر الأشعة الكونية يجب أن يسمح كما قدمنا بتفسير خواص إشعاع طبيعته وقوته واحدة فى جميع الجهات حول الأرض . وقد وضع ريجنيه Regner [١] فرضاً يجيز تولد هذه الأشعة فى وقت ابتداء تطور العالم ، بحيث أصبحت خواصها الطبيعية مع مرور الزمن واحدة فى جميع الاتجاهات Isotrope ، وذلك بسبب رحلتها المستمرة داخل الكون المغلق

وقد وضّح ليتر[٢] Lemaitre هذه النظرية الأركيولوجية بفكرته فى أن الكون فى مجموعه لا يكون سوى ذرة كبيرة جداً تشع هذا الإشعاع على طريقة هى فوق طريقة النشاط الراديومى Super-radioactif

أما عند مليكان[٣] فإنه يغلب على ظنه أن بعض الحوادث الطبيعية الحادثة باستمرار فى المواد الواقعة بين الأجرام السماوية ربما تعطى هذه الدرجة من إشعاع له نفس الخواص حول الأرض

أما فرض انعدام المادة (Annihilation) فهو لا يكفى أيضاً لتفسير إشعاع له مثل هذه الطاقة . ومن المعروف أن الطاقة الحادثة عن انعدام كتلة البروتون تساوى حوالى الألف مليون ألكترون فولت ، وهى طاقة أقل من التى نعهدها فى الأشعة الكونية

كذلك ليس من المحتمل أن يكون سبب الأشعة تحول نواة معقدة وثقيلة بانعدامها وانتقال طاقتها إلى الألكترونات أو الفوتونات ، كما أنه ليس من المحتمل أن يكون السبب فى الطاقة الحادثة من تكون نواة معقدة من ذرات أبسط منها ، فإن مثل هذه الطاقة تقل أيضاً عما نعهده فى الأشعة الكونية

ويتساءل أدنجتون لماذا لا تكون هذه الأشعة بقايا تهدم حدث قديماً فى المادة وشاهت الأقدار أن تصلنا أخبار هذا التهدم الآن

ويمكن القول أن كل الفروض التى تقدم بها الباحثون حتى الآن لتفسير منشأ وسبب الأشعة الكونية غير ممكنة فى ناحية وإن جاز إمكانها فى ناحية أخرى على أن نظرية العواصف هى النظرية الوحيدة التى ترجع بالأشعة الكونية لسبب مصدره الكرة الأرضية ، فإذا لم يمكن الدفاع عن هذه النظرية ، وهو الأمر الواقع ، فإن مسألة أصل الإشعاع الكونى ترتبط رأساً بنشأة الكون

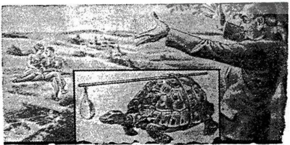
وقد بين ليتر أن الطاقة الكلية للأشعة الكونية مع فرض توزيعها توزيعاً منتظماً فى الحيز تبلغ $\frac{1}{1000}$ من مجموع الطاقة لكل ما فى الكون من نجوم وأجرام ومادة بينها .

وعلى كل حال فدراسة منشأ ومصدر هذه الأشعة يبدو حتى يومنا هذا خفياً على الأذهان ، وإذا اتضح كما تظهر التجارب الحديثة أن نصف الجسيمات أو أغلبها المكونة لهذه الأشعة العجيبة هى « بوزيتونات » ، فإن من المحتمل جداً أن البوزيتون النادر على الأرض هو مكون هام للكون خارجاً عنها .

ومهما يكن من أصل الأشعة الكونية ، فإنه عندما نعلم ذلك نكون قد خطونا خطوة كبرى فى المعرفة وفى حل موضوع يتصل بنشأ الكون وسر الخليقة وعظمة التطور .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) نشرات الجمعية الملكية الانجليزية ١٣٢ ص ٣٣٥ (١٩٣١)
(٢) مجلة الطبيعة (Nature) ١٢٨ ص ٧٠٤ (١٩٣١)
(٣) المجلة الطبيعية (Phys. Rev.) ٣٦ ص ١٥٩٥ (١٩٣٠)



من هنا ومن هناك

كفاح الدكتاتوريين لأجل المعادن – عن «ذي سينتفك وركر»

تقاس قوة الأمم فى هذه الأيام بمقدار ما لديها من الصناعات؛ فالصناعة هى أساس المدنية الحديثة ، تستطيع الأمة بها أن تتوفر على المصادر الأساسية التى يتوقف عليها كيانها وهى إحراز الثروة المالية ، والمحافظة على الحدود ، وزيادة السلاح ... والصناعة هى السند الوحيد الذى يمكن أن يعول عليه لتحمل أعباء الإدارة الحديثة ، وإحراز المال الوفير لتدبير شئونها . ومما لا شك فيه أن الأمم التى لها شهرة فى عالم الصناعة تحرص دائماً على الاحتفاظ بكيانها الصناعى ، ولا يتيسر ذلك إلا بوجود الخامات الجيدة التى تتوقف عليها الصناعات

فإذا أتيح لنا أن تفحص الآلة الميكانيكية لإحدى الطائرات وجدناها تتركب من معادن كثيرة قد لا تقل أنواعها المختلفة عن عشرين نوعاً . ولا يمكن أن يضحى بمادة واحدة من المواد التى تتركب منها دون أن نضحى بشىء من قيمتها

قد يقال عن تغيير الخامات واستبدال مواد صناعية بها ، ولكن هذا إذا صح فإلى حد محدود ، إذ أن الخامات المعدنية لها قوى وخصائص لا تغنى إحداها عن الأخرى كل الغناء

وتستخرج المعادن من المناجم الخاصة بها ، فإذا أعوز وجودها لا يمكن الحصول على ما يقوم مقامها فى الصناعة . فإذا لم توفق الدولة إلى الحصول على معدن لصناعة من الصناعات ، فإن الخسارة لا تقف عند ضياع هذه الصناعة فيها ، ولكنها تقع على نظام المملكة على وجه العموم

فالأمم التى تريد التوسع والنفوذ ، يجب أن تستحوذ على أكبر مقدار من الخامات لصناعاتها . فإذا كان الأمر كذلك ، تبينت لنا تلك الصلة التى تربط بين النشاط السياسى والحصول على الخامات

فإذا دققنا النظر فى مركز إيطاليا مثلاً ، وجدنا أن هذه الأمة لا تملك مورداً واحداً لنوع من المواد المدنية . وليس فى مقدور موسولينى أن يخلق من إيطاليا أمة قوية إذا اتكل على الزراعة وحدها، فهو يلجأ إلى استصدار الفحم والزيت والحديد والنيكل والمغنسيوم والصفيح وهى المواد الأولية للصناعات ، من بلادغير بلاده

ولم تكن بلاد الحبشة قد عرفت جيولجيا قبل الفتح الإيطالى، ولكن قد تبين أخيراً أن هذه البلاد تحتوى على أكبر مناجم للبلاتين والذهب والفضة والنحاس والحديد والبوتاس والرصاص والفحم والزيت (وهو أهم ما تصبو إليه إيطاليا) وهذه مواد ذات قيمة لا تقدر، وهى ولا شك تستحق ما بذل لأجلها من المشقات. فلا يصح أن يقال إن التوسع الإيطالى فى تلك البلاد كان يقتضيه ازدياد عدد السكان فى إيطاليا مع ما هو معروف من رداءة الجو فى تلك البلاد ، وعدم ملاءمته للايطاليين بحال من الأحوال

أما ألمانيا فهى تحصل على ما يكفيها من الفحم ، إلا أن ضياع الألزاس واللورين جعلها تتكل على بلاد أخرى فى الحصول على الحديد والذهب . وقد استوردت منها فى العام الماضى ٢٠ مليون طن .

ولا شك أن ألمانيا يهمها أن تطمئن على توريد هذه المواد إبان الحرب ، ولا يمكن ذلك إلا إذا وضعت البلاد التى توردها تحت إشرافها (يقصد تشيكوسلوفاكيا)

أما اسبانيا فماذا تقدم للأمم التى تهتم بها سياسياً ؟ مما لا شك فيه أن الثروة المدنية لتلك البلاد لا يستهان بها ، فهى تحتوى على موارد عظيمة للحديد الممتاز والصلب والنحاس وغيرها من المعادن التى تستوردها ألمانيا من الخارج . . .

وهكذا حيثما وجهنا النظر وجدنا المواد الصناعية هى المحرك لتلك الأمم والحافز لها على التطاحن والحرب

الحب والخوف – عن مجلة « جون أولندن »

لكى نتخلص من مخاوفنا فى الحياة ، يجب علينا أن نكون على وفاق معها . قال أحد الحكماء : « إن الحب الخالص يزيل الخوف ، إذ أن الخوف يناقض الحب . ولا يوجد قول أصدق من هذا القول » . فنحن حين نكون على وفاق مع الحياة، معارفها وتجاربها وكل خليقة فيها فلا شىء نخافه . إذ أننا فى هذه الحالة نعيش مع كون صديق . . . وكما يقول ادوارد كاربنتر فى شعره

المنثور : تسرع كل القوى العلوية إلى تحقيق مسراتنا الأبدية .

فإذا دب الحب إلى قلب الإنسان ، واتصلت وشائجه بشأن من الشئون ، أصبح هذا الشأن قريباً من نفسه كل القرب ، فهو لا يخيفه ولكنه يسره ويؤدى به إلى السعادة .

ليس من العسير أن نوثق عرى الألفة مع الكون حتى ترتبط نفوسنا بكل ذرة فيه . وعند ذلك نرى أن كل شيء يعمل لأجلنا — بدل أن يعمل ضدنا — ويبحث عن سرور دائم يشملنا فلا نخاف شيئاً تبتلينا به الحياة ، لأننا نعلم أن الحياة التى توالينا ستوصلنا إلى ما نريد ، وتقودنا إلى سعادة أكبر مما كنا نظن .

إن كل شيء يعمل لسعادة هؤلاء الذين يعملون مع الله ! يجب أن نكون أصدقاء للكون، أصدقاء للحياة وتجاربها، أصدقاء لكل خير ، أصدقاء لكل نظام واتساق لنكون فى وحدة تامة مع الحياة

إن الحياة لحن عظيم يوقعه الحب ، فلو عرفنا أن نؤدى دورنا فى هذا اللحن ، وسرنا على توقيع نغماته الصحيحة ، كانت حياتنا جزءاً من لحن الحياة العظيم ، فتفارقنا المخاوف جميعها إذ ماذا عسى أن تفعل بنا الحياة سوى أن تزيد من سعادتنا وتمدنا بالسرور الأبدى؟

إن الانسجام الأبدى والنظام يشملان الكون على الدوام ، فعلينا أن نضع أنفسنا وفق إرادتهما ونسايرهما . فنظام الحياة لا يمكن أن يتبدل ليسرنا بشيء أو يضيرنا به، وليس من الضرورى أن يكون كذلك . ولكن الواجب أن نساير نحن الحياة ، عند ذلك نجد أن لا شيء يخيفنا فيها ، لأننا نكون قد دخلنا فى وحدة الكون الذى ارتبطنا وإياه بالحب والوئام .

حول مشكلة العاطلين فى أمريكا — عن ذى لسنر الانجليزية

يظن الكثيرون أن أمريكا أمة غنية لا يعرف الفقر إلى أهلها سبيلاً . ويعتقد الكثيرون أن مستوى المعيشة فى هذه البلاد يمتاز عن غيره فى سائر بلاد العالم ؛ ولكن قل أن يعرف هؤلاء أن فى هذه الأمة التى يبلغ عدد سكانها مائة وثلاثين مليوناً من الأنفس، عدداً غير قليل من أبنائها يعانون أشد أنواع الفاقة والفقر

وأستطيع أن أقول إن نسبة هؤلاء البائسين الذين يعيشون فى فقر مدقع فى بلاد أمريكا أكثر منها فى بريطانيا العظمى . إذ أن عدد العمال العاطلين فى أمريكا يزيد كثيراً على عددهم فى بريطانيا . وإذا كان هؤلاء العمال لا يعرف عددهم بالضبط إلى الآن ، فهم لا يقلون على أى حال عن عشرة ملايين من سكان تلك البلاد . ولا شك أن للنظام الإدارى والاجتماعى فى أمريكا أثراً كبيراً فى هذا البؤس الذى يشمل عدداً غير قليل من الأهلين، وعلى الأخص نظام المدن والولايات الثمانى والأربعين ، فإن هذا النظام المحلى فى أمريكا لا يزال على جانب عظيم من الجمود

وقد كان الرئيس روزفلت أول من فكر جديا فى إصلاح هذه الحال . ولا غرابة فهذا الرجل معروف بمشروعاته العظيمة وخططه الناجحة فى إصلاح تلك البلاد . وقد انتخب رئيساً للولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ فى أشد الأوقات وأحرجها بالنسبة لحالة البلاد التجارية . فقلب وجوه النظر لإصلاح هذه الحال ، وقد كان أهم المشروعات التى وضعها فى هذا الصدد ، هو مشروع (مساعدة الضرورة) الذى شمل أنحاء البلاد ، وانتفع به ملايين من العمال العاطلين لمدة سنتين

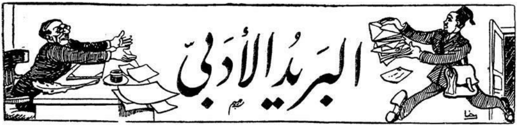
وقد كلف الحكومة هذا المشروع ١٥٠ مليون من الجنيهات ، وهو مبلغ ليس بالكثير لإحياء أمة . ولم يكتف روزفلت بهذه التجربة التى استفاد بها عدد كبير من السكان ، فأوقف قانون الضرورة وأحل محله نظاماً دائماً للعمال العاطلين . وقد بذل فى هذا الشأن أعظم مجهود رآه العالم فى مثل هذه الأحوال . . . فأعلن أن حكومة الولايات المتحدة لا تتحمل كل هذه الحاجة، ولا تستطيع أن تقوم بأود كل بائس أو مسكين، ولكنها ستأخذ بيد العمال القادرين الذين لا يجدون لهم عملاً ، لا بأمدادهم بالمال ولكن بإيجاد عمل دائم لهم

إن نظام إعانة العمال العاطلين فى انجلترا لم يرق روزفلت ، فأعلن أن أمريكا لا توافق على نظام الإعانات المالية بحال من الأحوال ، لاعتقاده أن إعطاء المال بدون عمل مفسدة للأخلاق

وإذا كان لا بد من المعونة فهى تعطى فى حالات المرض ، ويعد بها العجائز والأمهات ذوات الأطفال

وقد أبدى روزفلت شجاعة عظيمة فى تنفيذ هذا الرأى ، فاستدعى صديقه مستر هارى هوبكن وهو رجل ذكى قضى حياته فى ممارسة الأعمال ، وعينه وزيراً وكلفه بإيجاد سلسلة من الأعمال العامة فى البلاد ، لتشغيل العمال العاطلين من ألسكا إلى بنما ، ولم يقيده بقيود كثيرة، ولم يشترط عليه شروطاً ثقيلة، ولكنه حتم عليه أن يجعل سائر الأعمال التى يقوم بها هؤلاء العمال نافعة للدولة

وقد قام مستر هوبكن بهذا العمل بكفاية وجدارة وأوجد فى الحال أعمالاً دائمة لثلاثة ملايين من العمال العاطلين . ونستطيع أن نؤكد أن هذه الأعمال على جانب كبير من الفائدة للبلاد



١ — « مناوأة الخدر والنعاس » — وضع الشيء موضعه

فى العدد السابق من الرسالة ختمت التعليق على محاضرة حافظ عفيفى باشا بهذه الجملة : « أما سئمتم الخدر والنعاس ؟ » . وكان غرضى التعريض بقناعة مَن بأيديهم أمر الثقافة فى هذا البلد بـ « الموظفين المخضرمين » مع إهمالهم الشباب القادرين المستنيرين

وأما « وضع الشيء موضعه » فيدخل تحته كلامى على دار الآثار العربية وعلى استبعاد أهل الكفاية عندنا

وعلى هذا المحور ين سيدور بعض ما أنا كاتب فى هذا الباب من الرسالة ؛ وذلك بعد استئذان صاحبها وهو ممن يقصد وجه الإصلاح . ولن أطلب فيما أكتب غير الحق فلا أوثر هوى ولا أخشى غضباً

٢ — فتور الحركة الأدبية فى مصر

من غريب الاتفاق أن يصرح الأستاذ توفيق الحكيم فى العدد السابق بنُعاس الأدباء إذ يقول : « كل شيء (يعنى الكتب والتأليف) يمر فى فتور . . . العلة بسيطة ، ما من أحد فى هذا البلد يبدو عليه التحمس الملتهب لشئون الفكر والأدب . إن علة الفتور هى الأدباء أنفسهم . . . إنهم يكتبون فى الأدب وكأنهم ناعسون . إن أقلامهم لا تثير فى جو الفكر حراكا . وهنا الفرق بين أدبائنا وأدباء أوربا »

أن يكتب الأدباء « كأنهم ناعسون » ذلك لا يقع موقع العلة ، بل ذلك مظهر من مظاهر الفتور أو قل مظهره الأسطع . إنما العلة تذهب إلى ما وراء هذا . العلة فى انطواء كل واحد من الأدباء على نفسه وتشبثه بأسلوب واحد وتهاونه بالقارئ

ترى الأديب المصرى لا يعنى بما يجرى حوله كأنه المؤلف الفرد . على أن الأديب سجلّ عصره إذ يدون مجرى التأليف ، وينبه الأذهان إلى كتاب أو منحى أو مذهب أو ظاهرة اجتماعية أو ضيق معنوى . ولربما فطن أديب إلى ذلك فإذا به فى غالب الأمر وأكثر الحال ينوه بصديق أو يقع فى عدو أو يهمل كتاباً من الكتب جهلاً بفنه أو إنكاراً لنفاسته أو اتقاء لصاحبه أو تسامياً . أما التسامى فيدل على ذهاب بعضهم بأنفسهم على كل أحد وذلك من باب الغرور ، وقصة الغرور معروفة . وأما الاتقاء فيدل على ضيق الصدر بالنقد ، ومردّ هذا إلى الحداثة فى إقبال أمّـة على صناعة التأليف . وأما إنكار النفاسة فرجعه إلى خفّة الثقة بالنفس وما ينشأ عن ذلك من خشية المنافسين . وأما الجهل بفن الكتاب فلتشبث الأدباء بأسلوب واحد

وتشبث الأدباء بأسلوب واحد أن ينجذبوا إلى طريقة من التأليف أو يهيموا بأدب من الآداب، فيقفوا عندهما ظناً منهم أن ما يليهما أو يخرج عنهما لا وزن له

وأما تهاون الأديب بالقارئ فالمسه فى تلك الكتب التى تخرج للناس وإن هى إلا طائفة من « المسترسلات » Essays أعنى مجموعة من المقالات اللاحقة بفن الإنشاء (بمعناه المدرسى) فلن يزال الأدب عندنا قاعداً حتى يدرك الأديب أن المقالات الإنشائية لا تسوّى كتاباً : المقالات للجمهور الضخم ، وفيه الأستاذ والبقال وفراش الوزارة ، والكتاب للقراء . ثم إن المقالات

ومن أهم هذه الأعمال وأكثرها طرافة تسخير الكتبة الذين لا عمل لهم فى عمل مراجع لجميع الأعمال الفنية فى أمريكا ، وتسخير النساء فى عمل ملابس للعمال العاطلين ، وإنشاء مسارح للممثلين والفنانين العاطلين . هذا عدا الأعمال الزراعية والمنشآت والمؤسسات التى تتطلبها البلاد . وقد أنفقت الحكومة الأمريكية مبالغ طائلة فى تنفيذ هذا المشروع ، وهى وإن كانت ترى أن إيجاد أعمال لهؤلاء يكلفها أموالاً أكثر من التى تتكلفها لو اكتفت بإعطاء المعونة المالية لهم إلا أنها تعتقد أن فى عملها هذا محافظة على كرامتهم ورعاية لأخلاقهم

تهبط بذوق القراء إذا كانوا من الغافلين وتفتُّ في نشاطهم إذا كانوا من العارفين ... الكتاب ينشر ليبقى فيما أعلم ، والمقالات لتذهب ، على الغالب . وكل ما تعده للبقاء يستلزم الروية والاجتهاد والمراجعة بل الخلق ، والخلق لا يواتيك كل يوم

إني أكره أن أوافق غيري على أن القراء المصريين لا يقبلون سوى أدب التسلية والإنشاء التعليمي . فإني — وإن عرفت جناية منهج دنلوب وأعوانه على نشاطهم الذهني — لأعتقد أن فيهم من يرغب عن الشعر الذي لا تهب فيه عاصفة ، ولا يصفق موج ، وعن النقد الآخذ بالظواهر دون البواطن ، وعن القصة المسرودة سرداً ، وعن المسرحية الباكية أو المهذَّبة ، وعن المقالة العابرة كما يُقال اليوم ، وإن قلتَ : أتحرمني سائر القراء ؟ قلت : لك ما تشاء ، ولكن الأدب لا يحيا على أيدي قارئ يفتح الكتاب ليستعين به على ركوب قطار السكة الحديدية أو على إغماض الجفن إذا كان ممن يشكون الأرق .

هذا ومن مساوئ العلة الأولى — وهي انطواء الأديب على نفسه — أن أدباءنا لا يعوزهم التماسك المعنوي . فهذان حادثان كريهان وقعا هذه السنة لأديبين ؛ فلم يعضد الأول إلا الواحد ، وأما الثاني فمن نصره ؟ أين الغضب للفكر الحر ؟ ألا عسى أن يذكر أدباؤنا أن الفرد مستضعف .

كل ذلك يعلل فتور الحركة الأدبية . ومجمل القول أن الكتاب لا يحدث حدثاً إلا في الندرة ، إما لإغفال حملة الأقلام له أم لدقة شأنه ؛ وأن القارئ الجد لا يكاد يصيب أدباً رفيعاً يلهج به ، وأن جمهرة الأدباء لا يضمون أصواتهم بعضها إلى بعض حتى يحس الناس أنهم مستيقظون .

بشر فارس

حفلة تأبين الملك غازي الكبرى في بغداد

كان يوم الأحد ١٤ مايو من أيام بغداد الغر . وما أكثر الأيام الغرّ في بغداد! وكانت حافلة بوفود العربية من كافة أقطارها . وكان الناس في كل ندي وقهوة ومنزل مصغين إلى صناديق الإذاعة التي لم تنقطع منذ الغداة الباكرة إلى ثلث الليل عن بث الخطب والكلمات والقصائد والمقطوعات تتخللها آيات الذكر الحكيم يتلوها المشيخة من قراء بغداد ، وعلى رأسهم القارئان الأشهران الحاج محمود عبد الوهاب والملا مهدي

أما الحفلة الكبرى التي شدت إليها الرحال ، فقد أقيمت في (بهو الأمانة) في منتصف الساعة الرابعة فافتتحها الملا مهدي بتلاوة آيات « وما محمد إلا رسول » وكان موفقاً في اختيارها ، ثم أعلن عريف الحفلة الأستاذ السامرائي مدير الدعاية والنشر أن الكلام لفخامة نوري السعيد باشا الذي رحب بالضيوف ، وتكلم عن العرب في الجاهلية ووصف ما كانوا عليه من تأخر وجهل وما صاروا إليه بعد اتباعهم محمداً من التقدم والعلم ، وعرض لوفود العراق على النبي صلى الله عليه وسلم ووصف هذه الوفادة بأنها ابتداء الصلة بين العراق والأسرة الهاشمية . ثم تكلم عن أثر العراق في نشر الإسلام وصلتهم على الأيام بهذه الأسرة الماجدة ، وخلص إلى الكلام على الملك حسين وما قام به من أعمال وعلى ابنه وحفيده عليهم رحمة الله . ثم صرح بأن العراق سيواصل العمل في سبيل القضية العربية ، وختم كلمته برفع الشكر إلى الأمة العربية الممثلة في وفودها

ثم قدم العريف دولة لطفي الحفار بك رئيس الوزارة الشامية السابقة الذي ألقى كلمة طيبة بيّن فيها عظم الفاجعة بغازي ، وأثر الحسين وأسرته في تاريخ العرب ، وذكر بالشكر موقف الملك غازي من الشام شماله وجنوبه ؛ وأعلن أن الشام وأهله سيبقون ذاكرين له شاكرين ، وصرح بوحدة المشاعر والأماني بين البلدين

ثم قدم سعادة حمد الباسل باشا فألقى كلمة افتتحها بذكر الاتفاق في الموضوع والفكر في الخطب كلها ، وأن ذلك يدل على اتفاق العواطف والشعور ، ثم تكلم عن ثورة الحسين وعن أسرته إلى أن انتهى إلى غازي وفيصل الثاني (الصغير بنفسه الكبير بأمته) وأثنى على حسن اختيار الوصي وعزى العراق باسم مصر ورَجَا لَهُ التقدم والمجد

ثم تكلم جمال بك الحسيني مندوب اللجنة العربية باسم فلسطين فبيّن أن الكوارث تنشئ القوة وأن امتحان العراق بالنكبات لم يكسبه إلا قوة وصبراً . ووصف روعة المصاب بغازي وآلام البلاد العربية ولا سيما فلسطين وعمل غازي في سبيلها ، وأعلن أنها لن تنسى عمله ولن تحيد عن مبدأ جده الأعظم الرسول المصطفى

ثم ألقى الأستاذ علي الجارم مندوب وزارة المعارف المصرية قصيدة دالية افتتحها بالبكاء على النضار الحرّ (فما أغنى البكاء ولا أجدى) ، وعلى النبات الذي ذوى ، وجذوة النار التي انطفأت ووصف (لوعة مكلوم الفؤاد) وذكر أنه الدهر (هو الدهر ما بضّت بخير يمينه ، يجممنا سهواً (؟) ويبترنا عمداً) وأنه لا يفرق

بين ملك وعبد ، ووصف المصاب أوصافاً عامة تنطبق على كل مصاب ، وتصلح لكل ميت ، فهدّ (على عادته فى كل رثاء) هدّ العلياء ، وأطفأ نور الشمس ، وفرق الأنفس ، وأبكى الترك والهندا (ولا تنس أن القافية دالية) . أما ما يخص به الراحل الكريم ويصفه به ، فهو أنا فقدناه ريان الشباب ، وأن شمائله تفيض مسكا وآثاره ندا ، وأنه كان حساماً بيد الله فصارت الأرض له غمداً ، وذكر اسمه بعد فقال :

يقودهم الغازى إلى خير غاية
فأكرم به ملكا وأكرم بهم جندا
كأن غبار السيف فى لهواتهم
سلاف من الفردوس مازجت الشهدا

وجاء فى القصيدة أبيات حلوة جيدة ، ولكنها على حواشى الموضوع كقوله :

لهم فى سجل المجد أول صفحة ... كفاتحة القرآن قد ملئت حمدا
ومن كتب المجد المبين بسيفه ... على جبهة الدنيا فقد كتب الخلدا

ثم خاطب (حمامة وادى الرافدين) وسألها الترفق ودعاها إلى الصبر ، وتكلم عن دجلة والنيل وجاء بأبيات حلوة ثم أحس بأنه لم يقل إلى الآن شيئاً عن الملك غازى بالذات فعاد يصفه :

مضى الهاشمى السمح زين شبابهم ... وأعرقهم خالاً وأكرمهم جدا
فتى تنبت الآمال من غيث كفه ! !

واكتفى بذلك ، فانتقل إلى وصف سفره إلى بغداد والقلب واجف ، وسلوكه الصحراء ، وعده الساعات وسأمه ، وأنه جاء يقضى للعروبة حقها . ثم ختم قصيدته بالسلام على غازى وعلى الذى من بعده (كما كان يقول المتقدمون ...) وقد كان إلقاؤه مؤثراً . وأسلوب القصيدة حلو سلس ، وإن كانت فى غير الموضوع ، وكان فى الإمكان رد معانيها إلى مواضعها من الدواوين المطبوعة ....

ثم قرأ الأستاذ بهجة الأثرى المفتش فى وزارة المعارف كلمة معالى الدكتور هيكل باشا الذى أعلن أسفه على حرمانه من حضور الحفلة ، ووصف أثر الأسى فى جمع القلوب ، وبين أن العرب كلهم أسرة واحدة كان الفقيد من أقطابها وإن الفاجعة فيه عظيمة ، إذ فقده شعبه ملكاً ، وفقد ابنه أباً براً . وتكلم عن اتجاه العراق إلى الوحدة العربية ، واستشهد بحديث له مع فخامة نورى السعيد باشا ، ثم بين رجاء العرب فى العراق ومليكه الجديد ، ومشاركة مصر إياه فى آماله وآلامه

ثم قرأ طالب مشتاق بك طائفة من البرقيات الواردة من رفعة النحاس باشا من مصر ، وسعادة الدكتور شهبندر من دمشق ، والمشناوى بك ، وخليل ثابت بك ، والأستاذ خليل مطران من مصر ، وعصبة العمل القومى من دمشق ، والأستاذ صبرى العسلى ، ومعالى شكرى بك القوتلى .

ثم ألقى الأستاذ الشيخ يوسف الخازن كلمة لبنان ، فبيّن أن روابط الجهاد تؤلف بينه وبين العراق ، وذكر فضل البيت الهاشمى على العرب ، وأن قد (تحدث به الركبان فى الحل والحرم !) ووصف شباب غازى وضمّن كلامه أبياتاً فى الشباب ، ووصف جماله وذكر أن الله جميل يحب الجمال ... وبيّن موقفه من الفتنة الأثورية بكلام كله استعارات ومجازات وتضمينات شعرية ... وشبه غازى بهنرى الرابع الذى وصفه شاعر بأنه أخذ الملك بالارث وبالفتح معاً ؛ وشبه فيصل الصغير بلويس الرابع عشر الذى ولى الملك صبياً ورجا لهُ مثل أيام لويس ، وكانت كلمته حافلة بالمعانى ، وفيها وصف للفقيد .

ثم ألقى السيد بهاء الدين طوقان قصيدة الشاعر الشيخ فؤاد باشا الخطيب وهى لامية أولها (الذكر باق والعروش تزول) وصف فيها نشأة غازى فى أرض الحرم ، ونخوته ونفسه الأبية ، ووصف حياته بأنها حلم أعقبه حيرة وذهول ، ووصف حزنه على الفقيد ، وتمنى أن يكون له مزامير داود ليرثيه ولكنه عاجز ، ووصف عيه وعجزه وتمدح بأنه الطليق الحر ، ولكنه غدا اليوم مقيداً . والقصيدة قصيرة أشبه بمقطوعة من شعر الخطيب منها بقصائده الطوال

ثم ألقى مندوب الأزهر كلمته فافتتحها باسم الله ، وانفرد بهذا الافتتاح المبارك دون سائر خطباء الحفلة ، وبين أن للحياة مراحل أربعا كل واحدة أوسع من التى قبلها وأطول مدة ، وهن حياة الجنين وحياة الدنيا وحياة البرزخ وحياة الخلد فى النعيم أو الجحيم . وتكلم عن الوحدة الإسلامية وأنها فى وسائل السلام العام ، وبيّن مبلغ الفجيعة بغازى والأمل فى فيصل ، ودعا إلى القوة ونفى اليأس . وكانت كلمة طيبة ولكنها كانت أشبه فى مفتتحها ببحث علمى منها بخطبة تأبينية

ثم ألقى الأستاذ أكرم زعيتر من فلسطين كلمة حماسية قوية وصف فيها جهاد فلسطين ، وتكلم عن اهتمام المليك الراحل بقضيتها ، وعرض صورة خيالية مؤثرة لليالى المليك التى أحياها

مفكراً فى فلسطين وتوهم حديثاً بينه وبين أهله ، واستنجد العراق باسم فلسطين ، وطلب لها انتداب العراق وحمايته[1] ؛ وذكر أن الأمل فى فيصل الصغير ، ومدح حكومة العراق وشعبه .

ثم ألقى الأستاذ سليمان الأحمد (بدوى الجبل) قصيدة دالية بدأها بصور خيالية ، وصف فيها مصرع الشمس ، وجعل حمرة الفجر مقتبسة من دم غازى . ووصف عرس الجنان ، وسدرة المنتهى . ثم وصف كيف ضمت الأم فتاها الشهيد وصور روعتها وحنانها ، ووصف بغداد (دنيا الرشيد ، تفنى الحضارات ، وتبقى كالدهر دنيا الرشيد) ، وكيف لاحت فهتف الهاتفون فجنت السيوف ، وانتخت فى الغمود) ، وانتقل إلى ذكر غازى :

وتجلى غازى فكبرت الدنيا وقال الجلال هل من مزيد
وبيمناه راية الوحدة الكبرى فميدى يا راية الله ميدى

ووصف عيد المليك ، وصور المهرجان فى دمشق ، وما أعدت له من زهر الغوطة وعطورها . ثم ذكر كيف كان ذلك كله حلماً وانطوى ، (فمن رأى النسر بادرته المنايا ، فهوى وهو ممعن فى الصعود) . وبين روعة الشام لجلال الحادث :

أشفقوا أيها النعاة على الشام ولا تجهروا بنجوى البريد

فربما كان كذباً ، ربما كان اختلاقاً . ثم تحقق الخبر ، ولم يبق من شك فسألهم أن (أذيعوه يرجف البر والبحر ، واحملوه إلى ابن حمدان ، وألموا بخالد وأمية وغسان ... ثم انتقل إلى ذكر الملك الطفل فجعل له :

تاج بغداد والشآم ولبنان وبحر للروم طاغ عنيد
أيها البحر بعض تيهك لست للروم (أنت للملك نضار بتاجه المعقود)
أيها البحر أنت مهما افترقنا ملك آبائنا وملك الجدود

وبين أنه : (هاشمى الهوى أحب فما دارى ، وعادى على هواهم وعودى) — وكانت القصيدة على الجملة أحسن ما ألقى فى الشعر فى هذه الحفلة ، وإن كانت فى أسلوبها دون الجارمية وقد اختتمها بذكر الوحدة :

ليس بين العراق الشام حد هدم الله ما بنوا من حدود

ووصف جيش العراق الذى يغزو قبة الفلك ... وتسجد له الدنيا . . . وجعل الشام فى ذمة الوصى على عرش العراق وذمة العراق . . .

ثم ألقى الدكتور عبد الوهاب عزام كلمة الجامعة المصرية فوصف كيف شجاها الخطب ، وبين التعاون بين القطرين على بناء المجد ، وذكر روعة الخطب وعظمه ، ولكنا أعظم منه لأننا بنو الشدائد ، وعرض إلى عبرة الخطوب وثمراتها فى جمع الكلمة والوحدة ، وأعلن أن هذا المصاب مصاب المسلمين كلهم ، وختم كلمته بمقطوعة شعرية جيدة ، بين فيها أن الرخاء بعد الشدة ، وأن البدر يبزغ من بين الغيوم ، وأن ضحك الأرض من بكاء السحب ، وبعد غيض الماء فيض دجلة ، وأن فى كل خطب للفراتين دعوة إلى المجد والقوة والحياة . وكانت كلمة طيبة بالقاء أطيب .

ثم ألقى الأستاذ الشريقى قصيدته فافتتحها بوصف حزنه ، ونضوب دمعه ، وأثر الحزن فى دجلة :

وما الحزن إلا ما ألم بدجلة ففاضت دموعاً فهى تندب غازيا

وجعل غناء الأطيار مراثياً ، والأقمار تبكى مؤملاً : أطل على الدنيا هدى وأمانيا . ووصف غازى وصفاً مجملاً :

فلله من أدى الأمانة حقها ووهج للضوء الذى كان خابياً

وأنه تمرس بالأخطار ، وأنه فتى الأمل المزهو ، وأنه خير من قاد العتاق المذاكيا ، وأنه هو الفجر إشراقاً ، وله الهمة القعساء ، وطلب لقبره سقيا الغيث :

ويا لشهيد المجد حياه هاطل من الغيث لم يبرح على القبر هاميا

فى أوصاف هذا سبيلها ، ثم عرض للأمل ببغداد وأنها :

تواثب دهر العرب حتى ترده وقد كشفت عنه الأذى والعواديا

والقصيدة من باب الجارمية وإن كانت لا تحمل مثل أسلوبها وليس لها سلاستها وحلاوة ألفاظها

ثم ألقى الشاعر اللبنانى الأستاذ شبلى الملاط قصيدة وصف فيها الفاجعة بغازى أحسن وصف ، ولكنه لم يملك ناصية الأسلوب ولم يستطع أن يجعل ألفاظه كمعانيه فهو على الضد من الجارم ، وانتقل من وصف الفاجعة التى حدد تاريخها وصور دقائقها إلى الكلام على فيصل :

بدر العروبة وابن عم محمد نسباً وأعرق دوحة ميلادا
وأعاد أيام الرشـيد وتاجه واستصرخ المجد القديم فعادا

(١) مع أن مما يجب أن يعلم أن الحماية والانتداب والوصاية ألفاظ مترادفات معناهن الظلم (وظلم ذوى القربى أشد مضاضة) ، وأن الوحدة العربية المنشودة ليست وحدة الفتح وسيطرة قطر عربى على آخر ، ولا هى انضمام حكومة من الحكومات العربية القائمة اليوم إلى أخرى وتبعيتها لها ، وإنما هى اتحاد أو وحدة على أساس المساواة والأخوة . أما الانتداب والحماية والوصاية فشر كلها وشر منها أن تأتى من الأخ القريب ، وهذا معنى يحتاج إلى زيادة بيان فى فصل مستقل بنفسه

ثم انتقل إلى غازى ووصف أخلاقه وأنه يلين عند اللين ويشتد عند الشدة :

وتثور ثورة نفسه إن حاولت   أيدى الغريب لقومه استعبادا

ثم وصف فلسطين وأطال ثم خلص إلى الكلام على نصرة غازى إياها ، وعرض لذكر فيصل الصغير وندائه أباه ، وتفتيشه عنه فى سريره ، وذكر عبد الإله والعراق ولم ينس أن يتحدث عن نفسه وأن يتشبه بـ ... هوميروس !

ثم ألقى الأستاذ اليعقوبى قصيدة طويلة جداً ليس فى مبناها ولا معناها ولا إلقائها ما يذكر بالجودة . يقول فيها :

أبا فيصل أحبب بها لك كنية   ورب رجال لا تحب كناها

وجاء فيها (وأسفرن ربات الحجال) على لغة (أكلوه البراغيث) ، وجاء فيها (ولا مرحباً فى نهضة أو قضية إذا كنتم لا تحملون لواها) ، وكان خيراً لو ختمت الحفلة بشبلى الملاط . ثم ختم الحفلة فخامة رئيس الوزارة العراقية بالشكر والدعاء

« بغداد »   (ع . ط)

جمع الباسل

قال فاضل مشهور فى قصيدة فى هذه الأيام :

طرحنا رداء اليأس عنا بواسلاً   وإن هزنا يوم العراق وإن أدّا

فجمع (باسلاً) على (بواسل) والبواسل للباسلة ، لا للباسل ، ولهذا البُسْل — كالبُزْل — والبسلاء[1] ، وفى الصحيح الباسلون.

قال (الكتاب) : « وإذا لحقت الهاء فاعلاً للتأنيث كسر على فواعل ، وكذلك إن كان صفة للمؤنث ولم تكن فيه هاء التأنيث وإن كان فاعل لغير الآدميين كسر على فواعل وإن كان لمذكر أيضاً[2] وقد اضطر فقال فى الرجال وهو الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم   خضع الرقاب نواكس الأبصار»

وقد شذت شاذات ذكرها الصحاح والتاج . قال الأول : « أما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه — أى على فواعل — إلا فوارس وهوالك ونواكس ، فأما فوارس فلأنه شىء لا يكون فى المؤنث[1] فلم يخف فيه اللبس ، وأما هوالك فإنما جاء فى المثل فجرى على الأصل لأنه قد يجىء فى الأمثال ما لا يجىء فى غيرها ، وأما نواكس فقد جاء فى ضرورة الشعر » وقال الثانى : « قد جاء أيضاً غائب وغوائب ، وشاهد وشواهد ، وفارط وفوارط ، وخالف وخوالف »

وإن قال أدباء بسلاء : (إن بواسل كفوارس شىء لا يكون فى المؤنث فلم يخف فيه اللبس) فجواب هذا القول عند (العربيات المصريات) البواسل . . .

(١) فى المخصص : « قال أبو زيد : الباسل الشجاع كأنه بسل على قرنه أى حرم والبسل الحرام ، والجمع بسلاء وبسل » وذكر اللسان والتاج الجمين ، ولم يورد الصحاح إلا البسل وبسيل مثل الباسل يا أخا العرب

(٢) لأنه لا يجوز فيه ما جاز فى الآدميين من الواو والنون فضارع المؤنث ولم يقو قوة الآدميين (سيبويه)

(١) فى اللسان . قال ابن سيدة : لم نسمع امرأة فارسة

***

محاضرة هامة فى جمعية المهندسين الملكية

ألقى الأستاذ الدكتور محمد محمود غالى من مصلحة الطبيعيات محاضرة عن الأشعة الكونية حضرها كثير من المهندسين والعلماء يتقدمهم صاحب المعالى محمد شفيق باشا وزير الأشغال السابق ورئيس الجمعية الذى اهتم بموضوع الأشعة منذ العام الماضى عند ما طرح الدكتور غالى بدار الجمعية أبحاثه القيمة عن طمى النيل ، فطلب منه أن يحاضر زملاءه المهندسين عن أحدث ما يعرفه فى العلم التجريبى

والدكتور غالى محاضر ممتاز بتبسيط المواضيع العويصة وبمهارة التحليل العلمى وقوة الاستنتاج وعظمة الاستقراء . .

والرسالة تقدم لأحد أفراد أسرتها التهنئة لما يصادفه فى جميع محاضراته من نجاح



٥ـ في سبيل العربيـــة

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

كان يصح أن أجعل موضوع حديثى اليوم ما أفضى به إلىّ طالب بالسنة التوجيهية بإحدى مدارس وزارة المعارف بالقاهرة ، فقد جلس الطالب إلى جانبى فى بعض مراكب « الترام » وجعل يشكو إلىّ (على غير علم بأنى ناقد كتاب البخلاء) من أنه قد يعرض للطلبة توقف فى فهم بعض أغراض الشارحين للكتاب فيبدو لهم أن يناقشوا أستاذهم فى ذلك ، فيوصد باب التفاهم معهم بقوله : إذا قال الجارم بك وجب الإذعان . وهكذا يميت الأستاذ فى نفوس طلابه حب البحث ومعالجة الحقيقة بكلمة لعله يرجو أن تصل إلى صاحبها فتكون شفيعاً له . ولكن ما أدناها من شفاعة إذا كان الأستاذ يعلم صواب ما يريد طلابه مناقشته فيه فيحتجنه عنهم ابتغاء مرضاة رئيسه .

ولكنا نعود إلى عملنا فى نقد الكتاب راجين من حضرات المدرسين بالسنة التوجيهية ، وهم الذين يدرسون للطلاب هذا الكتاب ويعدونهم للامتحان فيه بمناقشة معانيه وتوجيه مراميه راجين منهم أن يزنوا كلامنا حتى إذا آمنوا بصدقه عادوا إلى طلابهم فصححوا ما كانوا قد مروا به من سقطات الكتاب ليؤدوا بذلك أمانة العلم كاملة إلى طلاب لا لوم عليهم إذا قبلوا حقائق تقول وزارة المعارف إنها محصتها فارتضتها غذاء لعقولهم .

ص ٩١ يقول خالويه المكدى لابنه :

« ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين ، ولا أثق بك وإن كنت لاحقاً بالآباء ، لأنى لم أبالغ فى محبتك »

هكذا أورد الشارحان كلمة « محبتك » وعلقا على الجملة بقولهما : (ولست أرضاك) أى لسرى وثقتى . (وإن كنت فوق البنين) أى فوق أبنائى منزلة . (ولاحقا بالآباء) أى لأنك كبير السن . (لأنى لم أبالغ فى محبتك) لأني لم أجاوز الحد فى تقدير محبتى إياك

وهذا التفسير خطأ فى ذاته ينقض آخره أوله؛ إذ كيف يجعله أولاً فوق البنين ثم لا يكون مبالغاً فى محبته! وهل فوق محبة البنين محبة ؟!

كان يكفى هذا التناقض لعدول الشارحين عن شرحهما وبحثهما عن تصحيف أو تحريف لعله يكون قد وقع فى الجملة ، ولكنهما لم يفعلا وقبلا هذا التناقض فى سطرين متوالين من شرحهما

والذى أراه أن كلمة « محبتك » مصحفة عن كلمة «محنتك»، والمحنة الاختبار . فيكون الذى منع الوالد من أن يجعل ابنه موضع سره ليس نقص محبته ولكن نقص تجربته له

أما كون الأب لم يجرب ابنه فذلك معقول، جائز خصوصاً إذا كان الأب كخالويه هذا قضى حياته موكلاً بفضاء الأرض يذرعه

وفى الصفحة عينها يقول خالويه هذا متحدثاً عن ماله :

« ولم أحمد نفسى على جمعه كما حمدتها على حفظه لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس »

والمعنى فى ذلك واضح، فهو يقول إن بعض هذا المال صار إلىّ من غير تعب أو محاولة فى جمعه ، كأن صار إليه من هبة أو ميراث ، فلا يكون له فضل فى الحصول عليه . ولكن الشارحين يقولان فى معنى الجملة الأخيرة : « لأنى لم أسلك فى جمع بعضه طريق الحكمة والحزم .

وهذه عبارة ناطقة بأنه سلك فى جمع هذا البعض طريقاً غير طريق الحكمة والحزم

فى ص ١٠٦ يصف الجاحظ رجلاً بأنه عضب اللسان عارف بالغامض من الأمور فاهم للدقيق من المحاسن لا يسكت على عيب

في الناس إلا نُدِّد به وشُهِّر ، ثم يقول عنه بعد ذلك :

« وإن ثريدته لبلقاء إلا أن بياضها ناصع ، ولونها الآخر أصهب . ما رأيت ذلك مرة ولا مرتين »

فيقول الشارحان بعد أن فسرا البلقة بأنها بياض وسواد أو بياض وحمرة : ويظهر أن هذا التلون في الثريدة يكون من قلة الدسم أو رداءة المرق وقلته ، حتى ليكون بعض الثريدة مشبعاً به وبعضها ليس كذلك . اهـ

والظاهرة العجيبة في هذا الشرح أن الشارحين يذكران فيه شيئاً غير معقول لأحد، حتى لهما أنفسهما، ذلك أنهما ينسبان هذا التلون في الثريدة إلى قلة الدسم ، فكيف يتصوران هذا ؟ لا شك أنهما فرضا هذا الدسم صبغاً كصبغ الحيطان أو صبغ البيض في شم النسيم ! حين ذاك حقيقة تكون قلة الدسم كافية لأن يظهر بعض الثريدة بلون الخبز الأصلي وهو البياض ، وبعضها وهو الذي ناله الصبغ يكون من نصيبه تلك الصهبة ، كذلك تعليلهما هذا التلون بقلة المرق أو رداءته . وما ندري كيف جاز هذا في رأيهما ولم يقل به طاه ولا طاهية ؟

إنما الذي يصح أن يفهم من اختلاف لون الثريدة أن الرجل كان يقدمها إلى ضيفانه وقد كسى بعضها باللحم وترك جانب منها لا لحم عليه ، فظهر هذا أبيض ناصعاً بلون الخبز ، وذلك أصهب بلون اللحم . ويكون ذلك عيباً كبيراً ومسبة شنيعة في كرم الرجل لأنه لم يجر على عادة الناس من تغطية جميع الثريدة باللحم . فإذا كان قد زاد على ذلك أنه جعل ما يليه من الثريدة هو المغطى باللحم يكون قد ارتكب إلى جانب البخل رذيلة أخرى هي رذيلة الأثرة على من يجب نحوهم الإيثار

ويؤنسك بهذا المعنى قول الجاحظ تلو هذا الكلام: « وكنت قد هممت قبل ذلك أن أعاتبه على الشيء يستأثر به ويختص به ... فلما رأيت البلقة هان على التحجيل والغرة »

يريد أنه كان يرى من هذا الرجل استئثاراً بالشيء دون جلسائه ، ولكن ذلك يكون خفي الموضع ليس في شناعة تميزه لنفسه على الخوان بجعل الثريدة التي يأكل منها على حال غير التي يجعلها أمام الناس من مضار مائدته ، فلما رأى منه ذلك لم ير وجهاً لنصحه لأنه لا يقدم على هذا إلا مصرٌّ غير مبال بذم الناس ونقدهم

ص ١٠٩ يقول الجاحظ للحزامي وقد اتهمه بالإسراف وتضييع الحزم حين رآه يلبس من ملابس الشتاء قبل إبانه : « وأي شيء أنكرتَ منا منذ اليوم». فيعلق الشارحان على قوله « أنكرت » بقولهما : أي جحدت واستقبحت من أمرنا

وقد جمعا في التفسير بين معنيين متضاربين فإن الجحود ادعاء جهل الشيء مع علمه وهو لا يلتقي مع الاستقباح ، إذ هو إعلان الرأي بقبح الشيء

والواقع أن الإنكار يفسر بالمعنيين ، ولكن ليس يلزم من هذا أن يفسر بهما معاً في مقام واحد . فالمراد هنا هو المعنى الثاني فقط وهو الاستقباح ، فأما الجحود فلا محل له كما هو واضح من مقام الكلام

وقد وقع الشارحان في هذه الغلطة نفسها في ص ١٢٩ حين أورد الجاحظ وصف الجارود لطعام عبد الله بن أبي عثمان فقال : « يُعْرَفُ ويُنْكَر » . فقال الشارحان في التعليق على ذلك : ينكر من الإنكار وهو الجحود والمراد يُحَبُّ ويُكْرَه . فجمعا في التفسير اللغوي وبيان المراد بين المعنيين وهما الجحود والاستقباح لأن مقصودهما من قولهما « يُكْرَه » إنما هو أنه مستقبح . فبان من ذلك استساغة الشارحين للمعنيين معاً وجمعهما في تفسير كلمة الإنكار حيث وجدت ، مع أنها إذا فسرت بأحدها امتنع تفسيرها بالآخر في نفس المقام . وهذا ظاهر

ص ١١٤ يحكي الجاحظ عن الحزامي :

« كان يقول : أشتهي اللحم قد تهرأ وأشتهي أيضاً الذي فيه بعض الصلابة

وقلت له مرة : ما أشبهك بالذي قال أشتهي لحم دجاجتين »

فيعلق الشارحان على قوله : « وقلت له مرة » بقولهما : أي لما قال أشتهي اللحم .. وكان مقتضى الظاهر أن يقول فقلت له. اهـ

يتعب الشارحان أنفسهما في محاولة ربط الكلام بعضه ببعض ولكنهما في سبيل ذلك يعدلان عن صواب إلى خطأ ويحملان اللفظ ما لا يحتمله من المعاني ، ويتقولان على القائل ما لم يقل ، أو يستظهران ما لا داعي إلى استظهاره . ومن ذلك قولهما هنا : كان مقتضى الظاهر أن يقول فقلت له (أي بدل وقلت)

ونرى أنه لا داعي لهذا فإن عبارة الحزامي « أشتهي اللحم الذي قد تهرأ » كانت هجّيرا ، ومن لوازمه المأثورة عنه فقال له الجاحظ في مرة من المرات التي كان يرددها فيها : ما أشبهك الخ .



حيـــاة الرافعى

تقدير ونقد

للأستاذ أبو الفتوح رضوان

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وفى ص ٥٧ نكتة من الأسلوب أظنها تريد أن تلقى فى ذهن القارئ أن الرافعى ترك الشعر إلى النثر لأنه عجز عن الصياغة الشعرية . يقول المؤلف : « فما أراه كان يقول ذلك — يعنى قيود الشعر — إلا تعبيراً عن معنى تأبى كبرياؤه الأدبية أن يصرح به » ، وفى رأيى أن الرافعى لم يقصر فى مضمار الصياغة الشعرية وإنما كان تركه الشعر نتيجة لما تصدى له من فنون الأدب . فالشعر لا يتسع لأكثر من الخواطر السريعة والخلجات النفسية القصيرة ، على حين قصد الرافعى إلى الفلسفة والتطرق إلى بواطن المشاعر والوجدانات ، ولو أنه نظم فلسفته فى الجمال والحب لما استساغ ذلك إنسان ، وفى رسائل الأحزان وأوراق الورد شعر جيد قد لا يتفق لغيره ممن اشتهروا بالشعر دونه . فأداة الرافعى فى الشعر لم تكن عاجزة ولا قاصرة . ولكن تدفق عاطفته وغزارة خواطره وعمق فلسفته هى المسئولة عن هجره الشعر . ثم ألم يكن من الخير للعربية أن يتجه الرافعى إلى النثر ؟

ويرد المؤلف (ص ٦٧) تقديم شوقى لنشيده بعد أن طلبه إليه ذلك وإحجام حافظ ، إلى إباء فى طبع هذا وحرص فى طبع ذاك على أن يقال فى كل مناسبة قال شوقى . ولو كان الأمر كذلك لقدم شوقى نشيده من أول الأمر . والحق أنه استكبر أن يتقدم فى مسابقة مع صغار الشعراء ، وأنف من أن يضع شعره موضع الامتحان ؛ فلما وعد بأن نشيده هو الفائز تقدم به ، أما حافظ فكان عضواً فى اللجنة ، وعلى ذلك فهو يعرف اتجاهها

والدليل على ذلك قول الجاحظ : « وكان يقول » ولو كان قد قالها مرة واحدة كما ظن الشارحان لقال : « وقال مرة » فتكون ملاحظتهما جائزة

فبان أن الخروج عن مقتضى الظاهر لم يكن من الجاحظ وإنما كان من الشارحين

ص ١١٥ يروى الجاحظ قصته فيقول :

« وكنا عند داود بن أبى داود بواسط أيام ولايته كسكر فأتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس فقسمها بيننا ، فكل ما أخذ منها الحزامى أعطى غيره » . فيضبط الشارحان كلمة كل بالضم ويعلقان على الجملة بقولهما : « أى فجميع الذى أخذه الحزامى من هذه الزقاق فرقه على أصدقائه . فمفعول أعطى الثانى محذوف »

وهذا الضبط خطأ ويتبعه خطأ الإعراب أيضاً ، والواجب ضبط الكلمة بالفتح فتكون مفعولاً ثانياً مقدماً لأعطى . والقاعدة أن الفعل إذا كان يطلب مفعولا فما دام فى حيزه ولا مانع من وصوله إليه لم يجز منعه عن العمل فيه . وعلى هذا يكون تقدير الجملة أعطى الحزامى غيره كل ما أخذ من الزقاق

(ملاحظة) : سنراعى جانب الإيجاز البالغ فيما بقى من المآخذ على الكتاب . وربما انتهينا من ذلك فى مقال أو اثنين لأننا نعتقد أن على الرسالة حقاً لقرائها فى تنويع القول وتلك هى سنتها معهم

محمود مصطفى

نحو نشيد شوقي فلم يتقدم حفظاً لكرامته

وخرج المؤلف من فصل « شيوخه في الأدب » بالنتيجة الصحيحة التي لا يتطرق إليها الباطل ، من أنه ليس للرافعي في الأدب شيوخ ، وإنما هو فريد في فنه وفي أسلوبه ، وإنه في ذلك مبتكر لم ينسج على منوال أحد . ولكن ما دام الأستاذ قد حاول أن يصل إلى بعض من أثروا في أسلوبه ، ألا يجد شيئاً من ذلك في حبيبته « فلانة » . ثم ألا يجد الأستاذ بعض الدليل على ذلك بالموازنة بين أسلوبه وبين أسلوبها في كتابها الذي نشر قبل رسائل الأحزان بقليل ؟ ثم ألا يكون ليلها إلى المعاني البكر والديباجة المشرقة بعض ما وجهه في فنه البياني هذا الاتجاه ؟

في ص ١٤١ يقول المؤلف إنه لما غضب الابراشي باشا من الرافعي نشر قصيدته في مدح جلالة الملك فؤاد جنباً إلى جنب مع قصيدة « الأستاذ عبد الله عفيفي المحرر العربي بديوان جلالة الملك » . والصواب أن الأستاذ عبد الله عفيفي لم يلحق بمعية جلالة الملك إلا بعد هذا التاريخ، وإنما كان حينئذ يشتغل بالتدريس. وظل يشتغل به إلى ما بعد نشر مقالات على السفود في نقد قصائده

وحاول المؤلف عند الكلام عن نسخة الرافعي الخاصة من كتاب « كليلة ودمنة » أن يعدد ما كتبه الرافعي من هذه الفصول. فعد ثمانية فصول في كتاب « تحت راية القرآن » . ثم قال إنه أهمل هذه النسخة الخاصة من كليلة ودمنة إلى سنة ١٩٣٣ عندما دارت المعركة حول «وحي الأربعين» . فنشر الفصل التاسع وهو « الثور والجزار والسكين » . والصواب أن الرافعي عاد إلى تلك النسخة قبل ذلك بكثير ، فقد نقل عنها فصلين على ما أذكر في « على السفود » . وقد كتبت هذه المقالات في سنة ١٩٢٩ . وجاء فيها حكاية (حبة القمح وحجر الطاحون) ؛ وحكاية البعوضة والنطاد (زبلن) . وعلى ذلك فهما الفصلان التاسع والعاشر من كليلة ودمنة الرافعي . ثم عاد الرافعي إلى هذه النسخة ثانية عند ما كتب « أوراق الورد » الذي تم طبعه في ١٩٣١ ، ففي ص ٢٢٩ و ٢٣٠ من هذا الكتاب حكاية « الغزال والأسد » وهي الفصل الحادي عشر من نسخة الرافعي من كليلة ودمنة ؛ وهي حكاية طريفة أدارها على بعض ما كان بينه وبين حبيبته فلانة ، وأشار في هامش الكتاب إلى أنها فصل من كليلة ودمنة ووعد بإتمام فصول الكتاب . وعلى ذلك تكون حكاية « الثور والجزار والسكين» هي الفصل الثاني عشر لا التاسع من كليلة ودمنة الجديد

هذه ملاحظات عنت لي في أثناء قراءة الكتاب ، وهي لا تنقص شيئاً من قيمته التي قدمت من خبرها في صدر المقال . ولا أختم كلمتي قبل أن أهنئ الأستاذ سعيداً على توفيقه في هذا الكتاب الفذ . وقبل أن أنوه بتلك الفصول القيمة التي كتبها عن « رسائل الأحزان » و « السحاب الأحمر » و « أوراق الورد » ، وهي فصول لم يكتب على منوالها في التعريف بالكتب . وأظن القارئ في حاجة إلى أن يعيد قراءة هذه الكتب على ضوء تحليل الأستاذ سعيد مهما كان قد أطال فيها النظر والدرس قبل ذلك

أبو الفتوح رضوان

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾